(Arab)
BP194
.1
.xK48

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074438522

al-Khurāsānī, Muḥammad Ibrāhīm ibn Riḍā

al-Ihtirāz

كتاب
الاحتراز عن مفتريات حسن الايجاز

لمحمد ابرهيم الخراساني ابن رئيس التجار

احد محصلي مدرسة الحقوق في طهران عاصمة البلاد الفارسية

(نشره)

على اثر نشر الانكليز في بغداد رسالة حسن الايجاز في ابطال اعجاز القرآن

دحضا لشبهات تلك الرسالة ومفترياتها - وقد قدمه مؤلفه هدية لحضرة العلامة المتبحر المدقق حجة الاسلام

الشيخ محمد

نجل مولينا آية الله الخالصي

بعد ان ابعده الانكليز قهرا من البلاد العراقية الى ايران

(Arab)
BP194
.I
.xK48

كتاب
الإحراز عن مفتريات حسن الإيجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله هداة الخلق
الى نهج الحق وبعد فان اجمل حلة للانسان هي حلة الدين
اذ بها يمتاز عن الحيوان وهي السعادة التي يتوخاها الفلاسفة و
الاجتماعيون لهذا النوع الذي شرفه الله على سائر المخلوقات
الاوضبته بما منحه من شرف العقل في مدركاته والاختيار في
افعاله وَاِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلام لما اشتمل عليه من
القوانين الكافلة لسعادة الدارين واعمار النشأتين حيث جمع
بين التهذيب العقلي والاخلاقي فقيد شطط الانسان في
معتقداته وافعاله واطلق له الفكر والعمل فيما لا ينصر النوع البشري
فكان وسطا بين قيود اليهودية الثقيلة وخرافات النصرانية في

الاعتقاد والأباحة الفاضحة في الأفعال لم يقل بمفتعلات بودا واختلافات برهما وكونفشيوس واحترام الصالحين من دعاة الأصلاح بما جاؤا به من عند الله كابرهيم وموسى وعيسى صدق النبيين وكذب الوثنيين والدهريين الذين جنوا على الجامعة الانسانية وكانوا دعاة الشقاء في العالم

وان فريقا ممن جبلوا على الفساد وكرهوا الاصلاح حاربوا الدين الاسلامي لانه الحائل الوحيد بين المفسدين وافسادهم فدعوا الى الالحاد ثانية والى النصرانية التي هي احد فروع الوثنية اخرى والغرض من كل ذلك حرمان البشر من السعادة الابدية ودعوتهم الى الشقاء والعناء والسير بالانسان سير القهقرى الى الوحشية والهمجية والتخلق باخلاق القرون الخالية

وان اكبر باعث لهم الى تعذيب البشر واصلائه في نار الشقاء هو ما تمكن في نفوسهم من حب الاستئثار بالسطوة والسلطان وجشع استعمار البلاد واسترقاق العباد من غير رافة ولا شفقة باخوانهم في البشرية .

على مذاجرت سنن الدول المغلبة والامم الحريصة الذين هم اضر على الانسان من جرائم الاوبئة المهلكة فبيناهم

2271
.509406
K5265

يصيغون الارض من دماء الضعفاء ويكدسون الفضاء بجيف
الثواكل والمظلومين وينزلون بالانسان انواع البلاء اذ تراهم
يبثون المبشرين في شرق الارض وغربها لصرف المسلمين عن
السعادة (الدين الاسلامي) الى الشقاء — اما النصرانية او
الالحاد — والغرض من كل ذلك تسهيل وسائل الاستعمار ولو
باهلاك النوع الانساني باسره وانزال انواع العذاب به .

ولم يكتف منهو موا الاستعمار من ذلك بالاعمال حتى قيدوا
المعاهدات السياسية بتلك القيود ومنه ما جاء في المعاهدة
التي تقفها الانكليز ليقيدوا بها العراق في شهر صفر من هذه السنة
فان احدى موادها تصرح بالتبشير والمبشرين من دعاة النصرانية
فكأن هذه المعاهدة دينية لا سياسية ، وما كادت تنشر
هذه المعاهدة حتى نشر اعداء الحق والانسانية كتابا سموه
(حسن الايجاز في ابطال الاعجاز) وكان غرض ناشره التمويه
بزعمهم على البسطاء
في انكار اعجاز القرآن توصلا الى غايتهم الدنيئة الذميمة وهي
حرمان البشر من السعادة والاصلاح بغية نشر الفساد وتوطيد
دعائم الاستعمار المهلك للعباد .

وحين قرائة رأيته مملوء بالهذيان الفاضح فوددت ان اغض الطرف عن نقده تحرجا عن التدخل فى مناظرات الغاوين وتراهة عن انس القلم بذكر مفتريات الدجالين ولو فى مقام الردع عنها وبيان مبلغ ماحوته من التمويه والتزوير ، الا ان اصرار اخوانى من محصلى دار الفنون فى طهران عاصمة البلاد العلمية الجأنى الى ان اكتب هذه الرسالة الوجيزة ليتبين للأبرياء ان اعداء الاسلام لم يستندوا فى مطاعنهم على الدين الاسلامى الى الحقايق بل الى التمويه والتزوير والكذب فانه سلاحهم الوحيد الذى اعتمدوا عليه منذ بدء الجدال مع المسلمين .

وانى لست من الناطقين بالضاد لكنى شرقى اكتب من اليمين الى اليسار ودينى الاسلام انتحلته لا عن تقليد بل وجدته هو الموصل الى السعادة ورايت المنحرف عنه فى شقاء وهلكة وعلمت ان العداء له غير مقتصر على العداء لاهل هذا الدين بل هو شامل للبشر اجمع بصدهم عن نهج الحق والهدايه الى طريق العمى والباطل والغوايه .

فالدفاع عنه والمناظرة فيه فرض على كل انسان لاسيما اذا كان شرقيا علم ان الطعن فى الدين الاسلامى وكتابه المجيد جعله

الغربيون مقدمة لاستعمار الشرق واستعباد الشرقيين ؟
فلا عجب ان يقف الشرقي ستما اذا كان مسلما مدافعا عن تدجيل
اولئك الذين لا تأخذهم بالانسانية رأفة ولا رحمة .

وانما العجب كل العجب من ان يسكت العرب الاباة عن مثل
هذا الضيم ويتركوا مجالا لانتشار امثال هذه الرسائل في بلادهم
مع ان مجدهم وشرفهم انما هو بالاسلام وليس الحافظ للغتهم
والمشرف لها على سائر اللغات والناشر لها في الاقطار الشرقية
والغربية الا القرآن وهل من سبب لشرف لغتهم او وسيلة
لنعيمها غير ذلك الكتاب الذي يقدسه اربعمائة الف الف من
مختلفي اللغات في العالم :

وهم مضطرون الى تعلمه وبسبب ذلك تكون اللغة العربية لغة
اربعمائة الف الف انسان بدل ان تكون لغة ستين الف الف
عربي فتكسب عن الاهمية مكانة تضطر جميع سكان المعمورة
الى تعلمها ويزيدها شرفا وشيوعا ما اشتمل عليه القرآن
الشريف من الحكم الالهية والقوانين الاجتماعية التي هي منشاء
السعادة في هذه الحياة والحياة الاخرى

انا لا اوجه اللوم الى العرب المسلمين بل الى كل عربي تهمه

الجامعة العربية والقومية اذ لا قوام لقومية العرب الا بالقرآن
ان للقرآن فضلاً على كل اهل اللغات حيث كان هو السبب الداعي
لعلي عليه السلام الى وضع قواعد العربية ثم استخرج من تلك
القواعد قواعد لجميع اللغات فعلى كل انسان ان يعترف بهذا
الفضل للقرآن ويقدسه من هذه الجهة ، والعرب اولى الناس
بذلك لان مجدهم وشرف لغتهم منحصر به ، فكيف يقفون امام
من يريد اذهاب مجدهم وهدم اساس شرفهم موقف الساكت
المنجمد او موقف البعير الصابر على الخسف والهوان .

ولست ادري القوة الاستعمارية المتغلبة كانت لأعذارهم
فان القوة اذا بلغت من الطيش والغرور هذا المبلغ يعلم منها
انها مصممة على اهلاك العرب واذهاب مجدهم والموت بالدفاع
خير للعرب من ان يصبروا على هذا الذي يعقبه موت الملة بأسرها
والذي دعاني الى الاصرار على الجواب هو حب الحق
واظهاره ونصرته واعزازه والحرص على التمسك بما به حياة
البشر ونجاتهم وانتقاض الباطل واذلاله فلم اراً بداً من اجابتهم
وقد شفيت هذه الرسالة - الاحراز عن مفتريات حسن
الايجاز - واسئل الله تعالى ان يرشد بها الضالين ويثبت

المهتدين انه على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل

نظرة عامة في رسالة حسن الإيجاز

ن على الحق سبحانه من نور يهتدي اليها من جعل الله له نورًا وبالفها كل احد وكثيرًا ما يصعب تقليلها ولا يعرف الانسان اكثر من كونها نورًا ، وان على الباطل لظلمة من ظلام يتبرم منها العقلاء ويستوحشون منها وكثيرًا ما لا يمكن تقليلها ولا يعرف الانسان اكثر من انها ظلمة فما اشبه هذا الادراك بالذوق الذي لا يعرف منشأه الآن حكمة الله جل شأنه تدرج في الحق والباطل على سنن لا تقتصر على هذا الذوق فالحق مهما موه وشوه يظهره الله بادلته الواضحة والباطل مهما ذوق وحلي اظهر الله نقصه ببراهينه الساطعة .

ومن ذلك هذه الرسالة السائلة من وجهتها العامة والخاصة

والوجهة الثانية تأتي الاشارة اليها عند انتقاد مفردات الرسالة ، ولكني اتكلم الان في انتقاد هذه المزاعم الباطلة

من الوجهة الأولى .

اشتملت هذه الرسالة على الكذب الصريح والبهتان والتمويه الذى لا يخفى حتى على البسطاء البُلْهِ ولا يوجد فيها برهان عقلى ولا نقلى على مدعىً بل كلما فيها دعاوى فارغة بلا بيِّنة ولا علم ولذلك كثر فيها امثال العبارات الآتية : فتأمل فى هذا وانصف ان الله يحب المنصفين فتأمل واحكم ، فلينظر من يرى ولينأمل اولوا النهى ، والعلامة (سنث كلر) ذكر ذلك فى كتابه فاغنانا ، وكثير من كتبه النصرانية ذكروا ذلك ونحن سنذكر شيئاً منها فى كتاب مخصوص ، فتأمل وتعجب ، وما ذلك بتبيان كثيرة على ان القرآن ليس من وحى الله ،

الى غير ذلك من العبارات الفارغة التى يعتمدها كل من يكون بصدد انكار الحق ولا يتبين له الا قول تأمل ، انصف ، ارجع ، فكر - تفهم - لا شك ولا اشكال ، هذا معلوم بالبديهة كان البرهان القاطع والدليل الساطع ليس بشئ وراء هذه الالفاظ الفارغة وهى تغنى عن كل برهان ،

ومع خلو هذه الاوراق الساقطة من كل برهان ولو كان سفسطائيا تراها مشتملة على تمويه يحبه طبع كل انسان الا

المتسببين الذين اعتادوا امثال هذه التمويهات لصرف الناس
عن الحق بلا خجل ولا حياء ولا شفقة ، فترى المؤلفين لهذه
الرسالة ينقلون الاعتراضات التي يجدونها في كتب التفاسير
والنحو وغيرها من الكتب الاسلامية التي اعتاد مؤلفوها ذكر الاعتراضات
التي تخالج مخيلاتهم مقدمة للجواب عنها توضيحا للمسائل التي
يكتبونها فيذكرون الاعتراض بلفظ (فان قلت) او (لا يقال) ويذكرون
الجواب بلفظ (قلت) و(لا انه يقال) ، وهذا نوع من التحرير اعتاده
مؤلفوا المسلمين لتوضيح مسائلهم . الا ان رجال المتسببين
جاءوا بعد ذلك وذكروا الاعتراضات مموهة بانها من بنات
افكارهم ولم يذكروا الجواب لتشويش اذهان البسطاء من الجاهلين الذين
لا خبرة لهم بكتب التفاسير والنحو وغيرها ،

فتراهم يذكرون ما يجدونه بعد لفظ (فان قلت) ويعمى
اعينهم عن ما ذكر بعد لفظ قلت ، وليس هذا التدجيل مقصورا
على هذه الرسالة بل هذا ديدن المتسببين في كل ما لفقوه
من المطاعن برعمهم على القرآن سواء في هذه الوريقات وفي
غيرها .

وعلامة الباطل الواضحة في هذه الوريقات الملتقطة

هو ان مؤلفيها حاموا حول امر يشهد الحس والوجدان ببطلانه قبل النظر فى اى دليل والمطالعة لاى كتاب والغور فى هذه المصنفات . وذلك انهم لم يقتصروا على انكار الاعجاز فى القران بل عدوه من قبيل الهذيان الذى لا يصدر من عربى وزعموا انه مشتمل على الاغلاط النحوية والصرفية واللغوية والخلل فى تركيب الجمل والاعمال من جهة المعانى وبالجملة حاولوا ان يعدوه من قبيل كلام الاطفال الذين لم يحسنوا بعد الكلام او الاعاجم الذين لا خبرة لهم باللسان العربى ، حتى يجرأوا ويسموا القران النثر البسيط ،

وقالوا : ان ائمة المسلمين اعتادوا ان يستنبطوا من اغلاط القران قواعد فى فنون اللغة ، وزعموا انهم وصلوا الى عالم يصل اليه القران وادركوا فوق ما ادركه فاعابوا على القران اياته وقالوا : انه لو قال كذا لكان احسن ، ومن ذلك قولهم لو قال : وانبتكم من الارض انباتا بدل نباتا والزيتون والتين بدل والتين والزيتون ، الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا بدل الحمد لله

(١٢)

الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما . بسم الله الرحمن الرحيم بدل بسم الله الرحمن الرحيم ، لانا خذه نوم ولا سنة بدل لا تاخذه سنة ولا نوم وغير ذلك — لكان احسن ، ولم يقتصروا على ذلك بل قالوا : ان فى القرآن الخطاء كبيرا وضعف لغة وتركيب من نصب المرفوع ورفع المنصوب ، وغير ذلك

وان هذه المزاعم وانزال القرآن الشريف والحط من كرامته الى هذا الحد ليس بالأمر المزعج الا من وجه انصراف هؤلاء المتجاسرين عن الحق واصرارهم على الباطل والعناد ، والا فان ذلك فى جنب المسلمين القائلين باعجاز القرآن اكثر مما يكون فى مقابلتهم .

وذلك لان محمدا صلى الله عليه واله من العرب الفصحا نشاء من قبيلة عربية فى بلاد عربية مشهورة بالفصاحة فلا يمكن ان يجهل من اللغة العربية ما يعرفه هؤلاء المتطفلون عليها ، او انه لا يعلم منها الا بمقدار ما يعلمه الاغماء او الاطفال الذين لا يحسنون الكلام ،

على ان القرآن تداوله العرب المخضرمون والمولدون واعقابهم ثلاثة عشر قرنا ولو كان بهذه المثابة التى انزله

اليها هؤلاء المعاندون المتعصبون لرده العرب ولهزؤا به
ولاستحال ان يفاخروا به امثال علي والخطيئة ولبيد والفرزدق
وجرير والكميت والحميري والحريري والرضي والمتنبي وابي تمام
والبحتري والمهيار وغيرهم من فطاحلة الفصحاء والبلغاء .

هذا فضلاً عن ان العرب اعجبوا بالقرآن وانزلوه منزلته
التي هو فيها واذعنوا انه فوق كلام المخلوقين وبقي هذا الاعتقاد
بين العرب ومن يعرف اللغة العربية اكثر من الف وثلثمائة سنة
وبعد ان طوى القرآن هذه المراحل واجتاز كل عقبة
اقامها في وجهه الملحدون واستولى على كل معارض واخذ
بازمة الباب جميع الفصحاء والبلغاء جاء في القرآن الرابع عشر
لظهور القرآن شذاذ من عوام النصارى وهم لا يحسنون
من اللغة العربية مقدار ما يتكلمون به فاخذوا بالاغراض
على القرآن جملاً وعناداً وانزلوه عن كلام ادنى العرب .

ان من راعى هذه الجهات علم مبلغ تعصب هؤلاء الذين
عشقوا الباطل واصروا عليه واتضح له قبل مراجعة الادلة
والغور في كلامهم الساقط ان هؤلاء القوم لا همهم الا
محاربة الحق واخماده وذلك عن اتى برهان يقام على ابطال

مدّعاهم

لوانّ هؤلاء المعاندين تصدّوا الى الاعتراض والايراد على اعجاز القران فقط معترفين انّه عسا الكلام فصحاء العرب لكان لردّهم ومناظرتهم وجه ولكن التحدّي بابي الانسان يشعّ نوره فمساق هؤلاء الجهلة الى اخراج القران عن كلام العرب وانزاله منزلة كلام الاطفال فابطل كلامهم نفسه بنفسه واراح المناظر عن ردّه ملاحظًا ان محمّدًا عربي واذا اراد اثبات دعواه بكلامه فلا بدّ ان يأتي باعلى ما يمكنه من الكلام فما الذي يدعوه ان يشتبه في كلامه بالاطفال وهب انّه لا يحسن اللغة وان كان من فصحاء العرب !!

فما الذي دعى هؤلاء البلغاء الذين يعدون بالوف الوف ان يصدّقوا به وينقادوا اليه ، هل يمكن ان نقول انهم غفلوا عن غلط القران كلا فان خطأه على زعم هؤلاء الجاهلين ليس بمثابة يغفل عنه الوف الالوف من البلغاء في عصور مختلفة طويلة الامد كيف وقد ادركه اعاجم البرهمنيين ومنشرعوا الانجليز !!

اذا لاحظت هذه الجهات التي ذكرناها ايقنت ان

نور الحق اعشى ابصار هؤلاء المتعصبين فتشكعوا فى وهدة الباطل وحادوا عن الطريق المستقيم فاوغلوا بالهذيان وهم لا يعقلون وجاؤا بكلام هو من قبيل الهجون او احكام المجانين وهم لا يشعرون واغنال ذلك عن مراجعة الدليل وانتقاد كلامهم جملة جملة فاته اوهن من ان ينظر اليه فضلا عن ان ينتقد

ومع ذلك فلا ينبغى الا اجابة اخوانى طلاب دار الفنون الى ما سئلوني فيه من انتقاد هذه الورقات بالتفصيل وبالله اعتمد وهو حسبى ونعم الوكيل .

نقد المقدمة

(وهو فى مواضع منها)

(١) نشر الكتاب باسم نصير الدين الظافر وهو اسم مختلق اذا عتاد الفتيسون اختلاق الاسماء الضخمة لنسبة مفترياتهم وملفقاتهم اليها . كما انهم يغيرون اسم المطبعة التى يطبعون فيها الكتاب ومهما كان فان اسم الانكليز لا يغير فى تلك الملفقات كما نجد فى هذه الرسالة : طبعت فى المطبعة الانكليزية الاميركانية

(٢) نرى فى المقدمة هذيانا يشبه هذيان المجانين

او سجع الكهان المنهيين ولا بد ان المؤلفين اراد وا اظهار
بلاغتهم ليعارضوا القران في ذلك !! فانظر هذا الهذيان
الفاضح : الحمد للرحمن (ذكر الصفة دون الموصوف) رب
الاحسان (اضافة الرب الى الاحسان وهو اسم معنى لا تصح
اضافة الرب اليه الا اذا كان بمعنى صاحب لا بمعنى اليه واذا
كان كذلك فلا تكون صفة ممتازة يمجد بها الله جل ذكره
منير الاذهان بالاعلان (اعوذ بالله من هذا الهذيان
الذي لا يفهمه انس ولا جان) الى ان يقول حمدا من صميم
الجنان وينزلف الى عرش الرضوان (لم يعرفوا اصول العربية
حتى عطفوا ينزلف على من صميم وهب انهم لم يعلموا شيئا من
قواعد الفصل والوصل التي تلحق هذا الكلام الساقط بالهذيان
فما الذي سوغ لهم اضافة العرش الى الرضوان وهذا ما ينكره
حتى العوام السذج . لا عجب من ذلك وانما العجب ان يتصدى
مثل هؤلاء القاصرين عن تحرير سطر واحد الى الطعن على
القران الذي حير الفصحاء والبلغاء والادباء والحكماء
قرونا عديدة . لكنها الوقاحة والصلف الذي يخرج
الانسان عن حقيقته البشرية ويسوقه الى هذا الضلال

البعيد ولست بمنتقد بعد الحان هذه الرسالة واغلاطها النحوية والصرفية وتراكيبها التي فان ذلك واضح من نظر اليها على انه يوجب التطويل بلا احدى اذا لصحيح فيها قليل وحسبك ما مر فانه اصح وابلغ مما في جاء فيها .

(٣) قولهم . ان المسلمين اجبروا - كذا - غيرهم على اعتناق دينهم وانهم صبغوا ايديهم الارض بالدماء وانزلوا بالارض جهد البلاء مع انه لم يجز لهم كذا بهم ان يبغضوا انسانا بل اوجب عليهم ان يحبوا الناس حتى الاعداء وسعوا في الخير لكل بشر بل ان يؤثروا غيرهم على انفسهم ثم قالوا : ان الاسلام حرم على المسلم محبة غير المسلم بناء على حديث يحشر المرء مع من احب وامثاله انتهى قولهم .

ولقد نظرت في هذا القول الساقط المتناقض فاخذني الدهشة والعجبان يبلغ التعصب والحقد بالقسيسين مبلغا يسوقهم الى الكذب الصريح والافتراء الثنائي والتناقض في الكلام مما لا يصدر الا من مجنون حرم قوة التفكير وصارت احكامه تبعا لخاطراته السيالة التي لا يقر لها قرار

يقولون ان المسلمين جبروا غيرهم على اعتناق دينهم وهذا محض اختلاق لا يجرأ عليه من سبر التاريخ الاسلامي من اول بزوغ شمس الاسلام الى اليوم . فان مبلغ الديانة الاسلامية اعتمد في نشر الدعوة على الحج والبراهين ولذلك اخذ يطوف بين القبائل مدة اقامته بمكة يقرء عليهم القران ويقيم لهم البرهان ويدعوهم الى السعادة الدينوية والاخروية ويوضح لهم الاحكام الاجتماعية التي يتوقف عليها نظام المعاش والمعاد .

دام على ذلك برهة من الزمن ولم يستعمل السلاح الا دفاعا عن نفسه وعمن آمن معه ومقدمة لبث الدعوة التي قابلها المشركون بالسلاح وحرصا على تبليغ القوانين الاجتماعية التي ينشر بدونها الفساد وتختل امور العباد ويهمل الحرث والنسل .

فاستعمال السلاح انما كان بداعي حب الخير واسعادهم وارتكابا لاهون الضررين فهو كعملية جراحية يجب اجراؤها حرصا على سلامة المريض وغايته اذ كان التوغل والانهماك في الفساد بلغ من امالي الجاهلية مبلغا يستحيل رفعه بدون استعمال السلاح .

الا تري ان اوّل حرب وقعت بين المسلمين والمشركين هي
واقعة بدر الكبرى ولم تقع الا بعد ان دعى النبيّ الناس الى
الاستعاذة سنين طوالا في مكّة ومحمل من اذاهم ما لم يحمله نبيّ قبله
وحبس هو واهل بيته في الشعب اربع سنوات بعانون ضروب
الاذى وانواع العذاب حتّى اضطرّ المؤمنون ان يتركوا بلادهم
الى بلاد الحبشة ونفي هو صلّى الله عليه وآله بعاني من المشركين
انواع المظالم والاذى حتّى اضطرّ الى ترك مكّة الى المدينة
واستولى اهل مكّة على املاك المسلمين وبيوتهم واموالهم و
منعوا الناس عن استماع البراهين من النبيّ والاصغاء الى
دعوته .

فهنالك حدثت واقعة بدر لياخذ المسلمون من اموال
قريش ما يسدّون به حاجتهم قصاصًا عما اخذته قريش من اموال
المسلمين واملاكهم في مكّة ولتكون فاتحة الخصامات بين
الفريقين تنشر بسببها الدعوة الى الهدى والرشاد .

فلم تكن تلك الحرب الا دفاعًا مبرورًا وقصاصًا حقًّا ولو
كانت بداعي نشر الدعوة لا غير لكانت حربًا مقدّسة من باب
ارتكاب اهون الضررين . فهل هذا اجبر على الدين كلّا!

وانما هو ايصال للدعوة واسماع للبرهان حيث اصنغ المشركون من الاصغاء له ، ولذلك كان النبي يكتفي بالمجزية حيث يمكن معها التبليغ ، بل كان يكتفي بالتبليغ وحده كما حدث في صلح الحديبية . فابن الجبر على الدين ، وحسبك ما جاء في القرآن المبين : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .

هذه سيرة النبي صلى الله عليه واله وعليها جرت سيرة أئمة المسلمين الى هذا العصر ويتضح ذلك من مشاهدة الخطب الواردة عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب واولاده في امور الدين ومن المباحثات الكلامية والحكمية التي اشتغل بها المسلمون فروناً الى هذا العصر حتى الفوا في ذلك المؤلفات الضخمة التي تفوق حد الحصر . ولقد ملئت مناظرات المسلمين مع غيرهم في مسائل الدين الطوامير والف المؤلفون كتباً خاصة في المناظرات الدينية والاحتجاجات المذهبية ، ولقد فسح المسلمون في المجال للملاحدة والزنادقة ومكنوهم من حرية القول والفكر وعاملوهم بدماثة الاخلاق واللين الى ان يسمعوا شبههم فيردوها بأوضح بيان ولكم اغلظ الزنادقة والمجون لائمة

المسلمين فى القول فلم يزدهم ذلك الا بعدا على اقوالهم وتوضيحا لرد شبههم ولم يسبق المسلمين الى ذلك غيرهم من الامم وان عاشوا الحرية لينهج حين ما هو فى اصول الكافى ان ابن المقفع وقف حذاء امام المسلمين وسبدهم الصادق فى البيت الحرام فى موسم الحج والمسلمون يطوفون حول البيت فهزء بمقدساتهم وسبهم وقبح اعمالهم ونحى باللوم والشتم على النبى (و العياذ بالله) والفى شبهه الباطلة فلم يكن من امام المسلمين الا الاصغاء الى جميع اقواله والرد بجميع شبهاته بلين القول وعذب البيان ، ولو ان احد رؤساء المسيحيين سمع فى الديانة المسيحية بعض ما سمع الصادق من ابن المقفع فى الديانة الاسلامية وكان له ذلك السلطان والنفوذ الذى كان للصادق عليه السلام لما تردد فى تقطيع اوصاله اربا اربا ، ولكن الديانة الاسلامية التى بنيت على حرية القول والفكر ابت لامام المسلمين الا مجاملة المتهدين والاصغاء له وقد شبهاته حرصا على هدايته .

واتك لترى فى مناظرات المحقين والمدعين والمتهافتة لائمة المسلمين ما يجعلك معتقدا بان المسلمين لم يجربوا احدا منهما كان ضيقا على الديانة الاسلامية وانهم انما استندوا فى دعوتهم على الحجة والبرهان الا اذا حاد المشاغبون واعداء الحق بالسيف بعد عجزهم عن اقامة الحجة

امام المسلمين فيضطر المسلمون الى دعم حجتهم بالسيف والعادة المهاجمين اسماعا لمن لا يسمع دعوتهم وحجتهم ولذلك نرى احكام الجهاد منصوصة على حرب الكفار دون غيرهم ولم يكن حد الحرب مع الكفار ان يسلموا بلدهم مخيرون بين الاسلام او اداء الجزية حيث يمكن معها المناظرة والتبليغ .

هذا كان شان المسلمين فى تبليغهم فعسى بما عملته الكنيسة ومجامع الحزبيين والقسيسين فى الشرق والغرب من منع الناس عن التعلم وحجرهم على النصرانية وخنق الافكار والاراء والحيلولة بين القضاري وبين فلاسفة المسلمين وحظر تحصيل العلوم من مدارس الاندلس الاسلامية واذاقة طلاب تلك المدارس من القضاري انواع العذاب بحكم جملة القسيسين

تلك سيرة المسلمين فى دعوتهم وهذه طريقة القضاري فى ديانتهم ، ومع ذلك يأتى بعض الجهال فى هذا العصر فيدعون ان المسلمين جبروا غيرهم على ديانتهم ، فما ابعد هذه الدعوى عن الحقيقة وما اقربها للتعصب الأعمى والضلال .

واضل من ذلك دعوى ان المسلمين صبغوا ادیم الارض فى الدماء ولا ادرى ما المراد من هذه الجملة ولعله الطعن على المسلمين

وتقربه النصارى وقد علمت ان المسلمين لم يجبروا احدًا على الدين
فضلًا عن ان يسفكوا الدم لذلك دماءً الا اذا عارضهم معارض مع آبائه
عن استماع الحجة فلا سبيل حينئذٍ الا الى السيف . اما النصارى
فان دعوى القسيسين ومجامع الكنيسة والجزويت لم تكن قائمة
الا على القتل والحرق بالنار وتقطيع اوصال كل من لم يدن بدينهم
او يقبل بقولهم من دون اقامة حجة او وضوح الى دليل ولكم اجرت
تلك المجامع الظالمة الغشومة في المنازعات الدينية من الفضايع
والاعمال الشنيعة ما تقشعر له الابدان ويخجل منه وجه الانسان
ان يكون في ابنائها امثال اولئك الذين ملأوا الارض ظلمًا وجورًا
وانينًا وصياحًا وضجيجًا وحسبك كل ذلك باسم النصرانية والكنيسة
وما اصلف وجه القسيسين غابرًا وحديثًا . جاءوا
بعد ارتكاب تلك الفضايع باسم الدين يدعون ان المسلمين صبغوا
ايديهم الارض بالدماء ، ولم تشتهم كتب التاريخ التي جعلت لهم
مخازي لا تمحى على كر الدهور

ولا غرو فان مصدر تلك الشرور وكلها هو الانجيل المحرف
الذي يقدسه النصارى اليوم مع انهم يعتقدون ان الانجيل
ارتفع من الارض بعد قتل المسيح عليه السلام ، لان الانجيل

اليوم يصرح بانه انما جاء ليلقي في الارض سلاحا لا سلاما وان الرحم لا تدعوا الى العطف والحنان ويوجب على الرجل ان يعادي ابويه اذا لم يتفقا معه في الدين .

فاين هذا من تعاليم القرآن الذي يقول : وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فاصدع بما تؤمر وما لهم به من علم ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَاشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، الى غير ذلك من الآيات التي تدعوا الى المحبة والوداد والتضامن والتعاون وتفضيل العلم وحظر القول بالظن والخرص . افيصح ان يدعى مع ذلك ان الاسلام يجبر الناس على التدين به .

ومن غريب ما جاء في هذه الجملة وكلها غريب دعوى الملفقين لها : ان الاسلام حرم على المسلم محبة غير المسلم مع انهم ذكروا قبل ذلك بسبعة ان القرآن لم يجز للمسلمين ان يبغضوا انسانا بل اوجب عليهم محبة كل بشر الخ .

فما ادري كيف التوفيق بين هاتين الجملتين المتناقضتين وما الذي اعمى هؤلاء الدجالين حتى صاروا يبطلون كلامهم بكلامهم وليس بين الجملتين اكثر من خمسة سطور وان التعصب ليردي

صاحبه حتى يوقعه فى هذه المهاوى ، وان الاسلام لاعلى كبا واوضح وجها من ان تشوهه هذه الفريات ، وهل تركت ايات القرآن الكريم مجالا للشك فى ان القرآن انما جاء لخير البشر عامة وسعادتهم وحثهم على التحاب والتضامن والتوادّ حتى جعل بين الغرباء اقوى رابطة نسبية داعية الى شدّ الالفة وهى الاخوة فقال تعالى : وجعلكم بنعمته اخوانا ولقد آخى النبى بين اصحابه واوصى بالاحسان للمسئ والاصلاح وكره الافساد فى الارض وجعل عقابه اشدّ العقاب وحسبك ايات القرآن الكريم فاتها ناطقة بالغرض المقصود من الاسلام كقوله تعالى : إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَرِيمٌ .

الى غير ذلك من الايات التى تبين ان الاصلاح بين العباد ودفع الشرور عنهم ودرء الفساد اهم مقاصد الاسلام ، واذا نظرت الى الاحاديث الاسلامية والتعاليم الدينية تراها مبنية على احكم اسس المدنية مراعاتها من اسباب الحرية الشخصية والنوعية متبعة منهج المحبة والالفة مجانبة

البغض والعداء لجميع البشر ، وانما بالغ الاسلام في الدعوة اليه حرصاً على خير البشر وسعادتهم

انظر وصيته امير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه الى واليه على مصر مالك الاشتر فانه بعد ما اوصاه بافاضة العدل وحذره من الظلم وامره بالمساواة بين البشر في القضاء وفي جميع الحقوق قال جالباً لعاطفته نحو المساواة مبرهناً على وجوب اتباعها : ان الناس اما اخ لك في الدين او شريك لك في الخلق .

فهل تجد لك في القوانين المدنية الموضوعة ما يشبه هذا القانون من العدل والمساواة . وان من امثاله المسلمين الشائع ما جاء في الحديث الشريف وفي وصيته الحسن السبط عليه السلام واحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، فهل في القوانين الارضية ما يناظر ذلك . افيبقى مع ذلك مجال للقول بان الاسلام حرم محبته غير المسلم ؟

ولو ان هذا القول كان صادراً من محب للبشر لكان له وجه ، ولكنه صدر من فسيس اتبع مبدعات مجامع الخرديث وصرف اوقاته في القاء الشرور في الارض باسم التبليغ توصلاً الى ارضاء المستعمرين المستأثرين الظالمين ، وهو في وسط حرب طاحنة

اوقد شعلتها النصارى بغيًا لمرامهم ، حتى انهم لظاها جميع المخلوقين ووردتاها الغنى والفقير والتهم والصغير ولم يسلم من شرها احد فكك العروج وقلب البنيان وهدمت القصور وخربت البيوت واهلكت الحرث والنسل فامت بنها امم النصرانية بعضها على بعض واكل بعضها بعضًا وحطم قوم قومًا اخرين وفى مقدمتهم الفتيسون دعاة الشر والفساد .

فكيف يزعمون النصرانية بعد هذه الشرور والويلات وبماذا يتهمون الاسلام ؟ من صنع الارض بالدماء النصارى امر المسلمون ؟ ولعل النصرانية تسوق النصارى الى حروب اكثر وبلاء على البشر من سالفات الحروب ، وفى الله من شرها العالم واعاذ من طبعنا بها بنى آدم . ان هولاء البرابرة لاضرى واضرى من الوحوش الكاسرة ، واتى للوحوش بتلك الجنايات التى اقترفتها تلك الذواب المؤذية ، وهل للوحوش هذا التسلف بل تكبون تلك الفضايع الموبقة ثم يأتون غير مخرجين يدعون ان الاسلام الهادى المرشد الرؤف الرحيم صنع البسيطة بدماء البشر ، اعوذ بالله من هذه الوقاحة وهذا التسلف .

بقى الكلام فى حديث بحشر المرء مع من احب ، وهذا

الحديث ليس المراد منه تحريم مجتة غير المسلم بل معناه حظر الاعتقاد
والدين بغير اعتقاد الاسلام ودينه اما المجتة هنا ليس معناها
الا لفة والاحسان بل الموافقة في الاعتقاد. ولذلك فليس بين
هذا الحديث والايات والاحاديث التي تحظ على الاحسان والبر
لكافة المخلوقين تنافٍ .

(٣) ذكروا في وصف كتاب العهدين التوراة والانجيل ان
القرآن زان جيده ببعض دره وعظم ببعض مناهيه (ما اقبح
هذه اللفظة المهملة) واوعره . ثم قالوا: وخلاصة واجبات
الدين التي حبب الله وحبب العباد وترفيه الناس والبلاد .

هذه دعوى ان ادعاها هؤلاء الدجالون فامّا او لا هما
فلا يجب ان تقابل الا بالضحك والاستهزاء والا فاتهام السقوط
بحيث لا تستحق النظر والرد .

تطالع الانجيل فلا ترى فيه امرًا اجتماعيًا او خلقيًا ولا
تهذيبًا لصالح البشر بل مجموع ما فيه اقاصيص وخرافات عن حياة
المسيح وبعض اصحابه ثم تنظر عقائده في المبدء الاعلى واصل
الخليقة والتكوين فلا ترى الا خرافات يمجها الطبع وينفر منها
العقل الصحيح . فنزه ثبتك الله واخزى بوحده وعزه بجعله

ولدًا واخرى تسمّى الولد اله والاله ابًا ومرة ينزله من السماء الى الارض ثم يسبّبه الخمر ويتسبب له الزنا والفجور والخوف وغير ذلك :
اما عن اصل الخليقة فليس فيه شئ نعم فى اول النواة كلمة مجملة لا معنى لها وهى قولها فى البدء كانت الكلمة . لا بد دى حتى القصاري ما معنى الكلمة وما المواد منها هذا كتاب العهدين .

وتشرّف نظرك فى القران فلا ترى مصلحًا اجتماعيّة او خليقيّة الا تجد امرًا بها فيه ولا مفسدة كذلك الا تجد فيه عنها نهيًا ولا جزاء الا تجد فيه عليه حضًا وعن الشر تحريضًا وزجرًا وما من حكمة الا تجد لها فى القران مثلًا وقصة . واذا طلبت اصل الخليقة وحكمتها تجدهما مشروحين فى القران مبيّنين باوضح بيان .

كيف صارت المادة الاصلية دخانًا وتفاتق وتكونت منه السماء والارض بحكمة اظهرها سلطان المبدء الاعلى وقدرته ثم تجد القران عبارة عن تمجيد المبدء الاعلى وتنزيهه عن النقائص وانه الكمال المحض المبرّء عن الشريك والولد واحد من جميع حيثياته لا حيث له ولا ابن قائم على كل شئ مدبّر لكل شئ تلك خرافات كتاب العهدين وهذه معارف القران

ما انف قائل لظالم يدعى ان القرآن زان جميله (والعياذ بالله)
بدد وكتاب العهدين ؟ هل لك الآن نضحك ما ذوقه سائلا
عن هذا بانه سائلا له الهداية والنجاة من هذا الضلال ؟

واما ثانيه الدعوين فليس منشأها الا الجهل بحقيقة
الدين والبعد عن التهذيب النفساني وهل ابقى حب الاستعلاء
وطمع الغلب والاستئثار وغلبة الشهوات النفسانية بصيرة
في قلوب هؤلاء الظالمين يدركون بها الحق .

فلنوضح مجملا حقيقة الدين ليتكشف مبلغ بعد هؤلاء
الضالين عن الصراط القويم .

الدين هو الانسانية ، وذلك ان الانسان خلق غافلا
مختارا ، فما يهذب العقل والاختيار فهو الدين ، اما العقل
فتهذيبه منحصر بالفكرة في المبدء الاعلى واصل الخليقة ومصيرها
ومنتهيها ، واما الاختيار فتهذيبه بتقييد القوى الغريزية
الموجودة بالطبع في الانسان باوامر ونواهي يترتب عليها ثواب
وعقاب ليصلح شأن الانسان وتنتظم امور معاشه ومعاملاته
مع ابناء جنسه فيكون نصيبه بسبب ذلك السعادة والسلام .

فالدين عبارة عن احكام المبدء والمعاد وقوانين العبادات

والمعاملات والسياسات والجزاء .

والشريعة الاسلامية تدعوك كل ذلك على الوجه الاكمل ، اما النصرانية فليست هي الا فوضى في امور الاجتماعية اذ لا اوامر فيها نافعة للبشر ولا نواهي ، وما هي الا سوق للانسان الى الجنون حيث تحكم عليه بالاعتقاد بالتثليث والتوحيد معا في المبدء مع حفظ كلا المتناقضين له في ان واحد وحصر الوجود كله الشامل لما لا يحصى من العوالم والاكوان ناذه في بطن امرئة ضعيفة واخرى في بدن انسان عاجز هو الاب الاله والابن المالوه فالابن الاله والانسان المالوه خالق ومخلوق ورازق ومرزوق حي ومقتول في القبر وفي السماء ضعيف قوي الى غير ذلك تناقضات واحالات لا يقدم عليها الا مجنون معتوه قد سلب عقله .

واما مبدء الخليقة ومعادها وحكمة ايجادها فنبينها من كتاب العهدين الاهمال .

فالنصرانية المبنية على الخرافات والفوضى عدوة الانسانية لو توجد الا لاهلاكها وما هي من الدين في شيء .

واما حب الله في عباده سائقه منشأها الاخلاص ولبس

القوام الاعظم للدين حب الله عن جهل بتقلبه وتنزيه العجز والنقص اليه ، بل قوام الدين تنزيه الله عن كل ما سواه و الفكرة في عظمته وقدرته وتمجيده بصفات الكمال ونفي صفات النقص عنه وهذه هي الفلسفة العليا التي تهذب مدركات الانسان .

واما حب العباد وترفيه الناس والبلاد فليست هي القوام الثاني للدين بل القوام الثاني هو الاحكام الالهية التي ترشد الانسان الى صالح الأعمال ومعالي الاخلاق ولها نتايج عظيمة يجمعها سعادة البشر ومن جملة نتايجها حب العباد وترفيه الناس والبلاد .

وهب ان الدين ما ذكروا فما بين النصرانية منه وليس فيها حكم واحد يصلح لترقي الانسان والبلاد بل احكامها مما عاد الى خراهما ، وهي بانية وعوله وتقليل للتسلل بالامضاء على زوجة واحدة والمنع من الطلاق واعدام حياة كلا الزوجين بتقييد احدهما بالاخر بحيث لا سبيل الى الفراق واهلاك للانسان بباعثه الخمود ، افهذا يكون في العباد واعمار البلاد ؟

ولا غرو فی شدة جهل هؤلاء الدجالين في امور الدين
فان مصدر دياناتهم كتاب العهد العتيق الذي لا يوجد فيه شيء
من الحقيقة ولا حكم مفيد .

نقد الفصل الأول

وهو في عدة موارد

(١) يدعي هؤلاء المفترون ان كثيرا من علماء المسلمين قالوا باعجاز القرآن بناء على قول القرآن فأتوا بسورة من مثله الخ ، وهذا افتراء محض فان فاطبة المسلمين قائلون باعجاز القرآن لا كثيرا من علمائهم وانما اختلف العلماء في وجه الاعجاز وليس مستندهم قول القرآن كما زعم هؤلاء الافاكون ولكن مستندهم هو اعتراف جميع العرب بالعجز عن الاتيان بمثله والخضوع امام بلاغته حتى صار سبب هدايتهم وارشادهم للديانة الاسلامية كما سنأتي الاشارة الى ذلك .

(٢) قالوا في الدليل الاول ان القرآن لم يدع انه معجز بالبلاغة الخ ، وقد اردوا بذلك ابطال دعوى الاعجاز حيث زعموا ان مستند المسلمين هو دعوى القرآن فاذا ثبت عدم دعوى القرآن بطل مستند المسلمين هذا ما اراده وان نصرف عبادتهم ونحن نعجب اشد العجب من وقاحة هؤلاء السفهاء يفترون على المسلمين ثم يردون ما

افتروه مظهرين ان ذلك ردٌ على المسلمين ، وقد انبأ ان
ان القرآن معجز بنفسه لاعتراف العرب وعجزهم عن معارضته
كما سيأتي سواء ادعى هو او لم يدّع . على ان القرآن ذكر
انه معجز بالبلاغة لقوله : لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ اَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهٖ وقولهم ان وجه
المماثلة لم يتبين في هذه الآية وامثالها فلم يعلم انه البلاغة
دليل على عدم خبرة هؤلاء القائلين باساليب الكلام العربي
فان هذه الآية وامثالها صريحة في ان وجه المماثلة هو البلاغة
لان القرآن انما يحدي العرب ببلاغته في زمان فشى فيه
التفاخر بالكلام البليغ وكثرت المناظرات بين البلغاء فجاءهم
معجزاً لهم عن الاتيان بمثله بلاغة ونظماً حتى اذعنوا له وخضعوا
لبرهانه وانزلوا ما كانوا علقوه على الكعبة من الكلام البليغ
واحجم البلغاء عن التفاخر بالكلام البليغ بعد ذلك كما سيأتي .
فبهذا يظهر ان الآية صريحة في ان المراد بمثله مثله بلاغة
ونظماً لكن من لا يعرف اساليب الكلام العربي لا يلام اذا
اخطاء في فهم ذلك وانما يلام حيث يجعل نفسه حكماً فيما
يجهله والجهل آفة الانسان .

(٣) قولهم سئلت علمائهم يعني علماء المسلمين) عن وجه المماثلة فقال بعضهم البلاغة وقال بعضهم غيرها الخ ، هب ان وجه المماثلة ليس البلاغة فاى رد فى ذلك على المسلمين بعد ان كان القران معجزا للبشر فيكون دليلا على انه ليس من كلامهم سواء كان اعجازه بالبلاغة او غيرها . على ان دعوى السؤال من علماء المسلمين فى عهدنا مدعيها لا تالم نر ولم نسمع ان فتيا استطاع الكلام فى امر الدين مع احد عوام المسلمين فضلا عن علمائهم وهل يقدر على الكلام من يعترض فى حجته صليب الوثنية ويعقد لسانه التثليث فى عين التوحيد والتوحيد فى عين التثليث . ولكنهم يدعون انهم تكلموا مع علماء المسلمين ليتبينوا انهم فى مناظرة عالمة يدانون بها رفعة علماء المسلمين فى المسائل الدينية شأن من يحتكم بالعظماء ليكون عظيما .

(٤) قولهم ويؤيد ذلك اختلاف علمائهم وبلغائهم فى ذلك الوجه اى وجه المماثلة الخ) المسلمون كلهم متفقون على ان القران معجز والاعجاز مهما كان سببه دليل على ان الاتى به هو الله فلا يقدح اختلاف علماء المسلمين فى وجه الاعجاز وسببه فى الدلالة على تصديق من جرى

على بديه المخزي الا ان المتسببين اعنادوا الافتراء على علماء المسلمين وتشطير عبارتهم فيذكرون شطرا منها ويتركون شطرا ليجعلوا ذلك رداً عليهم ويتضح ذلك من مراجعة البرهان الموجود في هذا الدليل وهي .

اولاً نقلهم عن الباقلاني في اعجاز القرآن قوله : ان فريقاً ذهب ان الكل قادرون على الاتيان بمثله الى هنا ذكروا من عبارة الباقلاني وبظاهرها تدل على ان بعض المسلمين قائلون بعدم اعجاز القرآن وليس كذلك فان الباقلاني بعد ان ذكر قول بعض المسلمين ان القرآن ليس بمعجز في نفسه وانما صرف الله البشر عن معارضته فالاعجاز بالصرف لا بنفس الكلام ولولا الصرف لكان البشر قادرين على الاتيان بمثله وننظر في هذا القول - قال : وليس هذا بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه . انتهى بلفظه . ومراده ان القول بالصرف ليس بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم اي من القائلين بالصرف ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما عجزوا لانهم صرفوا عن اركان في القدرة والاستطاعة

نعلمه لكن الله صرفهم عنه فعجزوا عن مباراة القرآن فالاعجاز فيه موجود على كل حال . ولكن المتسببين اسقطوا ذيل العبارة بلا احياء ولا تحرج تمويهًا على البسطاء (راجع اعجاز القرآن في هامش الانسان صحيفة ٤٦ و ٤٧ لتعرف مبلغ تمويه المتسببين)

وثانيًا نقلهم عن الباقلاني في هذا الدليل قوله وانه قال فريق منهم لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى . فيفهم من ذكر هذه العبارة في هذا المقام ان فريقًا من المسلمين قائلون بعدم الفرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى من حيث الاعجاز وان المراد من كلام الله هو القرآن وليس كذلك فما من احد من المسلمين يذكر عنه هذا القول واما عبارة الباقلاني المنقولة هنا .

فقد ارتكب هؤلاء الاحلاف من التحريف والتمويه فيها ما لا يعذر عليه انسان واليك عبارة الباقلاني بعضها لتقف على صلف هؤلاء الأجلاف . قال الباقلاني بعد العبارة المنقدة: ولا بأعجب من قول فريق منهم — اي من القائلين بالصرف — انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب — اي باب الاعجاز — وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على

حدّ واحد انتهى . ومرادهم ان الاعجاز يتصوّر على احد وجهين
الاوّل ان يكون الكلام لله تعالى ويعجز البشر عن الاتيان بمثله
الثّاني ان يكون الكلام لاحد المخلوقين الا ان الله يعجز من سواه
ويصرفه عن الاتيان بمثله ولا فرق بين كلام البشر وكلام الله
من هذه الجهة فانّ كلاهما معجز خارق للعادة .
وحاصل هذا القول ان كون الكلام معجزًا لا يستلزم ان يكون
الكلام لله بل يجوز ان يكون الكلام لواحد من البشر وهو معجز
بان يصرف الله عنه عن معارضته .

هذه عبارة الباقلاني وهذا المراد منها ولست ادري
ما الذي حمل هؤلاء المحرفين على تقطيعها والتمويه بها وكيف
سوّغت لهم مفكرتهم ذلك هل ظنّوا ان عبارة الباقلاني لا
يراها غيرهم او انهم لا يخافون الفضيحة بكشف تمويههم . بلى انّه
الحرص على الباطل يسوق صاحبه الى اردى المهاوي المهلكة

وثالثًا نقلهم عن ابرهيم بن سيّار النظام هذه العبارة :
ان العرب كانوا قادرين على الاتيان بسورة من مثله بلاغة
وفصاحة ونظمًا . واسندوا هذه العبارة الى كتاب الملل و
النحل للشهرستاني وليبان نوع هؤلاء الكذابين في الكذب

والافراء ننقل نص عبارة الملل والنحل نقلاً عن صحيفة ٧٢ من الجزء الاول من كتاب الملل والنحل المطبوع فى مصر بهامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم . قال فى تعداد المسائل التى تفرد بالذهاب اليها النظام مانصه : التاسعة قوله فى اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والاتية ومن جهة صرف الدواعى عن المعارضة ومنع القوى عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على ان يأتوا بسورة من مثله فصاحة وبلاغة ونظما انتهى نصه و انت ترى ان النظام ذكر وجوها لاعجاز القرآن وهؤلاء المفترون اختلفوا عباراته ونسبوها اليه وادعوا انه منكر لاعجاز القرآن بالبلاغة مع انه يصرح بالاعجاز فى البلاغة بسبب صرف الله البشر عن الاتيان بمثله فما اجرء هؤلاء القوم على الكذب ابعدهم الله .

ورابعها نقلهم عن المرداد هذه العبارة : ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظما ونسبوا ذلك الى كتاب الملل والنحل للشهرستانى وادعوا ان المرداد منكر لاعجاز القرآن مع ان الموجود فى صحيفة ٨٨ من الجزء

الاول من الكتاب المذكور لا يدل على ان المزدار منكر لاعجاز
القرآن بل ان الشهرستاني نقل عنه هذه العبارة وغرضه
الطعن عليه لانه قائل بخلق القرآن ولا يعلم من حال المزدار
انه منكر لاعجاز القرآن بل الظاهر انه قائل بالصرف وعبارته
تشبه عبارة القائلين به ويحتمل ان يكون عقيب هذه العبارة
ولكن الله صرفهم عن ذلك ولكن الشهرستاني لم ينقلها . وهب
ان المزدار قائل بعدم الاعجاز افينفيه ذلك واقعا ؟ وهل ينفي
معجزات عيسى انكار اليهود والوثنيين لها . ونحن لا حاجة لنا
في الوقوف على الاعجاز الى نقل اقوال المثبتين له او النافين
وانما ذكرنا ذلك تنبيها على مبلغ صلف هؤلاء القوم الذين
يعمدون الى الكذب والتمويه وسخط الرب وضياع الاخلاق
في تابيد دينهم والوصول الى غيهم والا فنحن في غنى عن ذكر كلام
كل احد مسلما كان او نصرانيا انا عرضنا النظر الى الحق من حيث
هو غير مبالين بما قيل او يقال وهكذا يجب ان يكون طالب الحق
وسنذكر مسئلة اعجاز القرآن بنفسها فيما سيجئ مجردة عن قول
كل قائل .

(٥) قولهم والمرجح عندنا ان القرآن لم يبدع معجزة

البشر والناس عن مثله الاعلى سبيل المبالغة . وهذا من المضحكات فان النبي صلى الله عليه وآله تحدى العرب سنين ودعاهم الى نصديقه جاعلا عجز البشر عن الاتيان بمثل القرآن دليل نبوته ، والعرب اعرف منهم من اعترف به ولجأ كثير من اهل العناد بعد ان قصروا عن معارضته الى السيف واختاروا الموت عنادا ولو انهم كانوا يستطيعون معارضته لكان الركون اليها اسهل من الحرب والقرآن ينادي في كل تلك الوقائع فاتوا بسورة من مثله وهم مجمعون ومع ذلك يدعي هؤلاء البلهاء ان قوله هذا من باب المبالغة افيصح ان يقال لهؤلاء المغلوبين انهم ادركوا شيئا من الحق فيها ، انهم في ظلمات الباطل يعمهون .

(٤) جعلهم من امثلة المبالغة في القرآن قوله تعالى سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ وقوله تعالى يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ وقوله تعالى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ وقوله تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . . . وهذا

الكلام من السقوط بمكان يدل على مبلغ هؤلاء البله من الجهل اذ ليس في شيء من الاباث الاربع مبالغة .

اما الاية الاولى فعلى حقيقتها لان الله محيط بكل شيء واسع كل شيء لا يغيب عن علمه شيء سواء المستر للقول والجاهر به والمستخفي بالليل والسارب بالنهار اذ انه تعالى ليس بمنفصل عن كل موجود في كل حال وهو مبدء كل شيء فاعل لكل شيء ، فهل في هذا شيء من المبالغة ؟ او هو عين الحقيقة الراهنة ، لكن من لم يدر هذه الفلسفة العالية ويعبد ربانا ذه بجعله في بطن مريم العذراء واخرى مقيدا بالبدن الانساني المادي وقره بين الطباق الثرى وسط اللحد من يعبد ربا هذه صفته يجدر ان يقول ان المستر والجاهر والمستخفي والسارب ليسوا بالنسبة الى هذا الرب سواء واذا قيل له سواء بالنسبة الى الرب قال اني ذلك على سبيل المبالغة ، فليذهب بجهله وغبنه اعاذنا الله منهما .

واما الاية الثانية والثالثة فليس فيهما شيء من المبالغة لان المبالغة هي اظهار ما ليس بواقع مظهر الواقع

او بالعكس لحكمته بقرينته حالية او مقالية فهي في المركبات اشبه بالاستفادة في المفردات ولولا شرط القرينة والحكمة في المبالغة لما كان بينها وبين الكذب من فرق وهذا التعريف لا ينطبق على الايتين لان بكاد من افعال المقاربة وهي تفيد قرب اسمها من خبرها فمعنى الاية الاولى قاربت سني برقه الذهاب بالابصار ومفهومه انه لم يذهب ومعنى الاية الثانية قاربت زيتها الضوء ومفهومه انه لم يضئ فهل في هذا شئ من المبالغة نعم لو قال سني برقه يذهب بالابصار وزيتها يضئ من دون بكاد لكان مبالغة ، ولكن اتى لهؤلاء البله بفهم دقائق الكلام العربي واساليبه .

واما الاية الرابعة فهي بعيدة عن المبالغة بعد السماء عن الارض فان لو تدل على امتناع الجزاء لامتناع الشرط فمعنى لو احسنت الي لاكرمتك ان اكرامي ممتنع لامتناع احسانك ولهذا الكلام مفهوم وهو ان الاحسان بنفسه اقتضاء للاكرام وهذه الاية كذلك فان معناها انك لم تر الجبل خاشعا متصدعا لانا لم ننزل القرآن عليه وهذا كلام لم يتعد الواقع والحقيقة فاي مبالغة فيه ومفهومه ان انزالنا القرآن

على الجبل قبه انقضاء الخشوع وهذا خبر لم يجاوز الجبل فكيف و
الواقع لان توجه كلام الله تعالى الى الجبل موجب لتصدعه
وخشوعه كما يعترف بذلك النصارى واليهود فى حديث تجلى
جل شأنه لمناجاة موسى فى جبل طور سيناء . هذا مبلغ
جهل هؤلاء الخداعين بنكات الكلام العربى فما حداهم الى
مناوءة القرآن ؟ هلدعى الى هذا الخبط الا الولع بالاستعلا
والطمع بالاستملاك والحرص على الظلم الذى يعمى ويصم .

(٧) قولهم الثانى ان علماء المسلمين وبلغائهم الذاهبين
الى ذلك لم يثبتوا الحد بين بلاغة البشر وبلاغة القرآن ليتبين
لنا من ذلك عجز الانس والجن عن فصاحته وبلاغته ونظمه .
ونحن نقول معارضته اذا كنتم لا تدرون الحد الفاصل بين
بلاغة كلام البشر وكلام الله تعالى كما اعترفتم فما ادراكم ان
القرآن دون كلام الله وكان يجب عليكم التوقف والسكوت
لا الحكم بعدم اعجاز القرآن اذ انتم جاهلون وقولكم بعدم
الاعجاز قول بغير علم يتجنبه العقلاء . والقول الفصل
منا هو ان علماء المسلمين ذكروا حد الاعجاز فى البلاغة
باجلى عبارة واسهبوا فى ذلك اسهابا لا يليق بهذا المختصر

فلنقتصر فيه على اقرب الطرق التي يفهمها كل احد وهو ان سند الاعجاز في البلاغة امر ذوقي لا يدركه الا من رزق ذلك الذوق وهم اهل اللسان العربي فيجب الرجوع اليهم في ذلك ولا سبيل لغيرهم الى الحكم فيه فانه يكون كحكم الاعمى بالالوان والاكمه بالالحان واذا رجعنا الى اهل هذا اللسان نجدهم قد آمنوا بان هذا الكلام ليس من جنس كلام البشر وانهم عاجزون عن الاتيان بمثله وقد تواتر عنهم ذلك كما سيجيء فيجب نقصد بفهم فيه .

(٨) فولهم في الدليل الثاني : فقولوا لنا ما البلاغة التي لا يستطيع مثلها احد من الخلق في سورة الكوثر وهي هذه (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) انى سئلت كثيرا من اعلم علماء المسلمين وابلغ بلغائهم فلم يجبني احد منهم عليه . لما لم يكن لهؤلاء الاكابر من دليل ولا برهان لجاؤا الى الدعاوى الفارغة والانكار المجرد ، والا فما معنى هذا الكلام الساقط الذي لا يضعه بتبينه ولا برهان ، فلو قلنا معارضته لم : فقولوا لنا ما هو الدليل على نبوة موسى وعيسى اني سئلت اعلم علماء النصارى عن ذلك فلم يجبني عنه لو قلنا ذلك معارضته اكان يكفي

ذلك لابطال النصرانية ، ومع ذلك فانا نجيبهم عن كلامهم بالحل بما اوضحناه انفا من ان مرجع تميز الكلام البليغ من غيره وبين درجته البلاغة الى اهل اللسان فحسب وقد رايناهم خضوعهم امام هذه السورة وامثالها واعترافهم بالعجز عن مباراتها بالتواتر فيجب التسليم لاذواقهم وآرائهم ، على انا نستطيع ان نبين شيئا من بلاغة هذه السورة بما وصل الينا من قواعد اللغة العربية ، وليس غرضنا من ذلك الاستدلال على الاعجاز فان مرجعنا في ذلك حكم العرب الاوائل لا غير ولكن لنوضح بالبحث عن بلاغة هذه السورة مقدار بعد هؤلاء الاغبياء عن فهم الكلام العربي وشدة غباوتهم فنقول :

ان هذه السورة الشريفة من اقصر سور القرآن الكريم وقد اشتملت مع قصر جملها على نكات عجيبة ومعان بديعة يجد لديها الفكر ويعجب بها العقل السليم ، اشتملت على بشارتين وامرين وتضمنت فلسفة عالية واوضحت حكما سامية .

فان الله سبحانه اخبر انه هو المعطي للكوثر دون غيره والاعطاء لنبيه تعظيما لشأنه صلى الله عليه وآله حيث جعله اهلا بان يخص بهذه المنة الكبرى واكد ذلك بان لما كان في

مقام الانكار حيث عظم النعمة في اذهان السامعين من قريش فكان لانكارها مجال واسع ولما فرغ من ذكر النعمة فرع عليها الامر بالصلوة والنحر دلالة على ان اطاعة هذين الامرين واجبة من باب شكر المنعم وجعل الصلوة خاصة به بيانا لانها عبادة لا تليق بغير الرب جل شأنه فان فائدتها لا تحصل اذا لم تكن للرب ، واطلق النحر في الظاهر اشعارا بانه في المرتبة الثانية من العبادات وانه اذا لم يكن لله فلا يخلو من فائدة وان كانت فائدة العبادة لا تحصل لكان عطفه على فصل لربك فيكون معناه وانحر لربك

وبعد ان ذكر المقتضي للعبادة وانه موجود وهو اعطاء الكوثر وذكر نوع العبادة وهو الصلوة والنحر اخبر على سبيل التاكيد بان المانع عنها مفقود وهو وصف قريش للنبي صلى الله عليه واله بصفات الذم حطا لدرجته واعانة له عن تبليغ دعواه لان الذي شنئه وهو العاص بن وائل بقوله ابتراى لا ولد له انما اراد حط منزلته صلى الله عليه عن درجة النبوة فجعله اى العاص ابتر انتقاما منه تعظيم للنبي صلى الله عليه واعلا لمنزلته واتى اكد هذه الجملة بان والجملة

الاسبينة والفصة تبنيها على ان هذا الامر واقع لا محالة فلم يبق مانع عن التبليغ وفي هذا التاكيد من الحصر والبعث على التبليغ بتمهيد اسبابه ووسائله مهما كانت خطيرة ما لا يخفى على الفطن الذكي . وفي هذه الجملة اخبار بالغيب لم يتخلف فان الغاص عاش بعد ذلك ولم يخلف ولدا ولولا ان النبي لم ينطق الا بالوحي عن الله لارتد في مثل هذا الخبر خوف الفضيحة بظهور خلافه فجزمه وعدم تردده دليل على اعتماده على الوحي . هذا مجمل ما يحوله الاختصار ذكره في هذا المقام . ولقد ذكر المفسرون لها من الاسرار والحكم والبدايع ما يحير الالباب وافرد قطب الدين الراوندي مجلدا ضخما لهذه السورة المباركة ذكر فيه من النكت البديعة والحكم البيانية ومزايا البلاغة التي في هذه السورة ما يوقن كل مطالع ان البشر عاجزون عن الاتيان بمثله او التبيته له الا بعد رؤيته . ومع كل هذا يجسر هؤلاء الزنادقة فيقولون هذه العبارة : اني سئلت كثيرا من اعلم علماء المسلمين وابلغ بلغائهم هذا السؤال فلم يجبني احد . لم يكفهم انهم حرموا لذة فهم هذه الدقائق حتى حرموا فضيلة الصدق وشانهم رذيلة الكذب الشين

قاتلهم الله انى يؤفكون .

(٩) قولهم فى الدليل الثالث ان كثيرين من العرب فى زمان حضرة نبى المسلمين ضحكوا بالقرآن ولم يروه كما اتى وقالوا ان صاحبه شاعر مجنون وانتم قادرون على الاتيان بمثله وما ذلك الا لانهم لم يقفوا على ما يثبت مدعاه الخ .

هذا ما ذكره وما عسى ان يقول الناظر فى هذا الهذيان افهكذا تكون الادلة ؟ وعلى مثل هذا الاساس الواهى تبنى صروح العلم المحكمة ؟ - ايجعل جحود المعاندين وانكار المجازفين دليلا على بطلان الحق وثبوت الباطل ، هكذا فليكن تطلب الحق !!! هيا نقضى هذا الهذيان ونجعلنا جحود كل حكم دليلا على بطلانه فاى حكم نستطيع نضد به ؟ وقد قيل لا يعدم راى ناصرا ، نريد ان نتبع سيرة هؤلاء المضلين الجاهلين فى ضلالهم ونقلب لهم ظهر المجن فنقول المعارضة من كل احد دليل على بطلان ما هو فيه ونقوم على ذلك بطلان نبوة موسى وعيسى وجميع الانبياء لان موسى عارضه فرعون والاقباط واراد قتله وقالوا انه كبيرهم الذى علمهم السحر وما ذلك الا لانهم لم يجدوا عندما يثبت

مدعاه ولواتهم وجدوا ما جاء به معجزة لامنوا . واما
عيسى فقد كذبه كل اهل عصره الا القليل ولو تتبعه من
اهل عصره معذار من اتبع محمدًا من اهل عصره واصر اليهود
على تكذيب عيسى حتى قتلوه وما ذلك الا لانهم لم يجدوا
عنده ما يثبت مدعاه ولو وجدوا عنده معجزة لصدقوه
وامنوا به ، ماذا يقولون لنا لو عارضناهم بذلك ،
والدليل القاطع الذي ذكرناه وارد عليهم طابق النعل بالنعل
ناف لدينا انهم هادم لاساسها ، فما لهؤلاء القوم ينقضون
قواعد ما بنوه من حيث لا يشعرون ؟ اليس هذا هو الضلال
البعيد ؟ لكن الله قد هدينا وانقذنا من الضلال فعلمنا
ان انكار الملحدين وجحود المضلين لا يكون دليلا على صدقهم
وكذب الصادع بالحق وان خالفه اهل العالم ، وان الواجب
على من طلب الحق ان ينظر الى الحق نفسه ببرهانه ودليله غير
مبال بجحود الجاحد وانكار المعاند ، فموسى وعيسى ومحمد
عليهم السلام انبياء صدق من الله بدليل ما جاؤا به من
المعجزات وان خالف الاول الاسباط والثاني اليهود حتى قتلوه
على زعم النصارى والثالث فريق من عظماء قومه لاولا [illegible] على

ان المكذبين من العرب فى زمن النبى صلى الله عليه واله عنادًا وحقدًا لا يعدون شيئًا فى جنب المصدقين الذين اعترفوا بالعجز عن الاتيان بسوره من مثل القرآن حتى اذعنوا وامنوا انه ليس من قول البشر وان هو الا وحى يوحى ، فاى سبب مبرر لتكذيب جميع العرب نصدقهم لافراد قليلين قالوا عنادًا وحقدًا ما قالوه لاول نظره ثم رجع الاكثر منهم الى الحق وامنوا ، وهلك الاقل اتباعًا للهوى وانقيادًا للحقد والاحن الكامن فى الصدور .

والذى يثبت اعجاز القرآن ان النبى صلى الله عليه واله انما ظهر بمكة وحوله بنو طواغيت قريش ومتعصبيهم قد غاهم الى نبذ جميع عقائدهم واخلاقهم التى تمكنت من ادمغتهم وغرائزهم وهى اصعب كل دعوى فى العالم ولم يكن له من سلاح يصول به بدء الدعوه ولا عدده ولا عدد غير القرآن فما الذى دعى العرب الى تصديقه والجرى على خلاف ما جبلوا عليه لو لم يكن القرآن معجزًا قاطعًا يستحيل معارضته والصدود عنه لغير المعاند الجاحد . اليس هذا دليلًا قاطعًا على ان العرب ادركوا اعجاز القرآن ؟ وما الذى

سوغ لهؤلاء المضلين اليوم ان يغضوا نظرهم عن احوال العرب زمن النبي صلى الله عليه واله ويجعلوا الدليل على صدق القرآن دليلاً على كذبه ؟ هل دعاهم الى ذلك الا التعصب والعناد ؟

(١٠) قولهم في الدليل الثالث : ان العرب قالوا لئن انذرنا اساطير الاولين لما عهدوه من يهود عصرهم ونصارى الخ . نقلنا هذا القول لخص النفكر فانه احط من ان ينقل ، يقيسون النصارى في جزيرة العرب زمن النبي صلى الله عليه واله باليهود وهذا دليل على مبلغ تعصبهم بذكر النصارى في كل مكان وان لم يكن ادنى مناسبة لذكرهم ، ودليل على انهم في الدرك الاسفل من الجهل لا يعرفون من التاريخ شيئاً ولا بد دون ان النصارى لم يكن منهم في جزيرة العرب زمن النبي من يذكر ولم يكن يعرف العرب منهم الا افراداً في ناصره وبصرى ونجران وليس لهم اثر في الاثار واخبار في الاخبار بخلاف اليهود الذين كانوا ما لئين لجزيرة العرب ينقل عنهم جميع اثار الاوائل واخبارهم .

(١١) قولهم فى الدليل الرابع : ان علماء المسلمين لم يتفقوا على ان اعجاز القرآن بالبلاغة والنظم وهم مؤمنون ان القرآن كلام الله فلو ظهر لهم انه معجز بذلك لاجمعوا عليه الخ .

على مثل هذه السقطات الواهية والهذيان الفاضح تلمذين قباب الاحكام العلمية المحكمة !! وويل يومئذ للبشر من عاديه الجهل ، لنقبل هذا النظر من الاستدلال ونبنى عليه اعتقادنا واحكامنا فنقول اختلف النصارى بين موحدين ومثلثين ولو كانت النصرانية حقا لاجمعوا على احدهما ، واختلف المثلثون بين كاثوليك وارثودكس وبروتستانت وغيرهما ولو كان ذلك حقا لم يقع الاختلاف بينهم ، واختلفت الكنيسة الغربية مع الكنيسة الشرقية فى الانجيل ومقدار نقرانه فزاد بعض ونقص اخرون بل اختلفت الكنيسة الشرقية فى ادوار مختلفة فقبلت فى بعض الادوار من الانجيل ما كانت نفته منه قبل ونفت فى بعض الادوار ما كانت قبلته فى دور اخر فلو كان الانجيل حقا لاجمع النصارى عليه نستدل هذا الاستدلال ثم نقول بعد ذلك :

وهذا من اوضح الادلة على بطلان النصرانية والانجيل
لمن قصد الهدى وعدل عن الهوى . كما قاله اولئك
المفتونون بعد الدليل الرابع . انكان النصارى يكفون
باستدلالنا هذا على ابطال دياناتهم وكتابهم لوكنا تابعناهم
في طرز الاستدلال ، وهل كنا نعد امام العلم لو وقفنا
هذا الموقف المشين ، كلا ! ان العلم يطالبنا ان ننهج منهج
الصدق والصراحة في الاستدلال ونجتنب طرق التمويه
والتزوير لوعرفه ، ناظرين الى الحق من حيث هو في نفسه غير
مبالين بما قيل او يقال ، وما من راى في العالم الا نجد له
مخالفا من نحو ادم ، فاين يذهب الحق لو جعلنا الاختلاف
في الراى دليلا على بطلانه . ايها المخادعون المخادلون !!
ملتوا الى الانصاف ودعوا التحشم والاعتساف ، وانظروا
الينا كما نظرنا اليكم ، نحن لما نظرنا الى النصرانية وجدناها
دين حق قوامها التوحيد وكتابها الانجيل الحق ، ثبت لنا
ذلك بدليله فعلمنا ان اعتقاد التثليث بقيته انقاض
الاعتقادات التي كانت رابجة في عصور الوحشية والظلمة
وانه اشبه بالخرافات منه بالحقايق المحكمات ، واخبرنا

الانجيل فرايناه ناقلا بالتثليث وبكثير من الخرافات فاعتقدنا
انه كتاب انسان جاهل كذب على الله ورسوله واشرك
بالله مالم ينزل به سلطانا . نظرنا الى النصرانية والانجيل
بنفسهما وحكمنا فيهما الدليل فحكم لنا بهذا الحكم الذى لا
ريب فيه ولم يجعل اقوال النصارى المختلفة اشد الاختلاف
دليلا او دلالة فى ذلك . فلينظر النصارى الى دين
الاسلام كما نظرنا الى دينهم نظر عاشق للحقيقة مطلب للحق
وسيتجلى عليه الحق فى القرآن بنفسه ويتضح له النور
الذى طبق المشرق والمغرب من القرآن حتى اعشى ابصار
اعداء الحق وانصار الباطل وتركهم فى ظلمات لا يبصرون

هذا مضافا الى ان ما ذكروه من اختلاف المسلمين
امر مكذوب عليهم اذ ان المسلمين متفقون على ان القرآن
معجز وانه دليل على صدق النبى واذا كان اختلاف بينهم
فانما هو فى وجه الاعجاز كما مر عليك ولا ضير فى ذلك
اذ لم ينف احد منهم اعجازه .

(١٢) قولهم فى الدليل الخامس : ان كثيرين خاضوا
القرآن ولكن الائمة قاموا عليهم فقتلوا فريقا وحذبوا اخر

حتى اعترف بوهن قوله وانتفوا ما عارضوه به .

دع عنك وكاكة هذه العبارة وانظر الى التناقض الصريح الذي جاء في هذين السطرين تنقد بالسذاجة كان المجانين عن ان يأتوا بمثل هذا الكلام ولكنه الاصرار على الباطل يوقع صاحبه في اسوء من الجنون . يقولون ان كبشر بن عارضوا القرآن ثم يقولون ان الائمة انتفوا ما عارضوه به . اذا كان الائمة انتفوا ذلك فمن اين علم هؤلاء المجانين ان التالف كان بحيث يعارض القرآن هل سمعوه او راوه حتى يحكموا بانه مثل القرآن ، كلا ! فانهم قالوا بانه انتف ، اذا فكيف ساغ لهم الحكم بمعارضته للقرآن ، هل هو الا تحكم بالغيب واتباع للهوى بغير علم ولا هدى . لم نكد ننقضي عجبنا من هذا الحكم الجائر المتناقض حتى اعترتنا حيرة اخرى اذ نظرنا الى كلام لهم مر بنقده بتناقض هذا الحكم وبتهافته . وهو قولهم بعدم معرفة حدود البلاغة لتتميز الحد الفاصل بين كلام الله و كلام البشر ، هذا ما قالوه اولا واذا كان كذلك فكيف يعلم ان التالف كان بدرجة بلاغة القرآن وليس للبلاغة على زعمهم درجة معروفة توضع فيها القرآن وما عورض به

اليس هذا الكلام متناقضا يكذب بعضه بعضا ؟ ولكن
ابن الحباء ليكون مانعا عن هذه المتناقضات وقد علمه
هؤلاء الاغبياء ، وقبل بجليها النظر في هذه الجملة قولهم :
ان الائمة قاموا عليهم فقتلوا فريقا وحذبوا الخ حتى اعرف
بومن قوله . فان هذه عبارة لا تصدر عن انسان عرف
من الحق واهله شيئا ، ان اهل الحق لا يرهبون سطوة ولا
يبالون بسلطان ولا يخشون تعذيبا ولا يخافون في الحق
لومة لائم ، انظر الى عيسى عليه السلام فتل على زعم النصارى
ولم يرجع عن دعوته ، والى موسى سلام الله عليه لا في في
سبيل دعوته انواع العذاب فلم يزده الا اثباتا وجدا ، والى
محمد صلى الله عليه واله عذبه قريش اشد العذاب ومنعوه
حتى عن الطعام وقصدوا قتله مرارا حتى اضطر الى ترك وطنه
واضطروه الى ان يقف بعد ذلك القبلة امام عدة قريش
وعددها وخيلها وخيلائها مرارا عديدة ، وحاصروه
في المدينة واصحابه ونساءهم واطفالهم . فلم يزده ذلك الا
نشاطا وثبات قدم في سبيل حقه الذي جاء به من عند الله ،
وهو في ذلك سواء يوم كان مفردا في مكة مطلقا ومحاصرا

فى الشعب مع اهل بيته وهو فرّ من المدينة وحده وهو كان ﷺ اصدق من حدثه به هو صاحبا لحق ومبلغه فى الشدة والرخاء والسراء والضراء لا فرق عنده فى ذلك لان الحق فوق ذلك كله . هذا شأن صاحب الحق ، فماذا انفق لمدع شيئا ان رجع عن دعواه لخفيف من عناء لاقاه فما هو الا متلاعب بعيد عن الحق يقدم راحته على تلاعبه كمن ذكر عنهم هؤلاء البله انهم عارضوا القرآن ، ثم اعترفوا بوهن اقوالهم رهبا من الائمة .

(١٣) قولهم فى الدليل الخامس : ان المسلمين افرطوا على معارضى القرآن فى الاقوال (اى احطها) لبيان البون البعيد بين ذلك والقرآن فنسبوا الى مسيلمة قوله . وذكروا شيئا من هذيان مسيلمة ، ثم قالوا — على انه لو كان احد بلغائهم من اتباع مسيلمة لانزل هذا الكلام الشافل (اى كلام مسيلمة) منزلة الثريا وابان ان فيه مثلا وحكمة وبلاغة بحيث اهدا السموات والارض عن مثلها وجعلها آية للعالمين .

يزعم هؤلاء المحكمون بلا برهان ان المسلمين افرطوا

على مسيلمة وما ادرى من الذى وكلهم ليدافعوا عن مسيلمة لا ادرى لهم موكلا الا الحقد على المسلمين وتصويب كل ما يخالفهم ولو كان هذيانا . دع عنك النظر فى وكالتهم لحمقا لها بقصور وغلط عبارتهم . وانظر الى مستند حكمهم

يتضح لك مبلغ عقلهم وحقدهم ، ان الذين نسبوا هذا القول الى مسيلمة استندوا الى التاريخ فالى اى يستند هؤلاء البله الاغبياء فى نفيه عنه ؟ هل ذكر التاريخ ان مسيلمة لم ينطق بذلك ؟ وهب انه صرح بنفيه فليس من اصول المورخين نفى الحوادث ولا قبول الشهادة على العدم . اجل لم يبق لهم مستند الا الحقد واتباع الهوى ، وذلك هو الذى دعاهم ايضا الى ان يقيسوا كلام مسيلمة بالقران ويدعون ان احدا من بلغاء المسلمين لو كان من اتباع مسيلمة لانزل كلامه الساقط منزلة الثريا وجعله اية للعالمين .

ان قد هوروا هؤلاء الضالين الى هذه الهوة العميقة بقياس القران باحط الكلام بر بحنا عن مناظرتهم لان القران الذى اعجب به العرب واعترفوا بالقصور عنه لا يمكن ان يوصمه بمثل هذه الوصمة اناس جاهلون بآداب اللغة العربية

ولو اكتفوا ببعض الاجراءات الخفيفة التي ذكرتها لامكن
ان يقنع الانسان نفسه بالنظر اليها متعللاً بانها لدقتها و
غموضها دقت عنها افهام العرب ، فيحتاج الى وجهها الصاوقد
بلغوا من التعنت هذا المبلغ وادعوا ان القرآن من الانحطاط
بهذه المثابة التي لا تخفى على احد بحيث يقاس هذا بان مسيلمة
الفاضح فلا يستحي كلامهم حتى الالفات اليه اذ لا يتصور
ان يقنع الانسان نفسه بان العرب في جاهليتهم واسلامهم
على كثرة من فيهم من البلغاء والحكماء لم يهتدوا الى ما في مقدرة نحو
على الف وثلثمائة واربعين سنة كلاماً سافلاً كما يقوله هؤلاء
يلحق بالهذيان وكلام المجانين وليس فيه ما يدق عنه الفهم
او يكون غامضاً لا يدرك لانه واضح الخطاء على ما يقوله له
هؤلاء المغفلون . وما ادري ما الذي دعاهم الى الاشتباه
في هذا الكلام الفاضح ؟ لا احسبه الا استدراجاً اراده الله
سبحانه فضيحتهم به واظهاره الحق ولو كره المشركون . وحسب
الناظر في هذا الكلام ان ينظر الى مسيلمة فان هذيانه لم
يخف على اهل عصره حتى سخروا به وعرف بينهم بمسيلمة الكذاب
وابن هذا من محمد الذي عرف بين قومه بالصادق الامين

وابتعثه الامم اجيالا عديدة مهتدية بنور هدايته سالكة في سبل الرشاد تحت رايته ، لا شك ان العرب الذين افتضح لديهم مبلغه هم العرب الذين صدقوا محمدا واتبعوه فلو لم يجدوا الحكمة وفصل الخطاب والاعجاز في كتابه لكانت غائبة عندهم غائبة مستبلمة ، هل يمكن ان يكون خفي ذلك على هذه الامم طول هذه الاجيال ولم يدركه الا ملفقو هذه الوريقات ؟ ان هذا للحاظ وحده كاف لمعرفة مبلغ جهل هؤلاء الحاقدين وغباوتهم .

(١٣) دليلهم السادس وهو مركب من دعويين .

الاولى ، حاصلها ان بلغاء النصارى وكثيرا من غيرهم لم يروا هذا الاعجاز في القرآن ولو كان معجزا لرأوه .

وجواب هذه الدعوى اولا بالنقض بان اليهود لم يروا معجزا عند عيسى ولو كانت لديه معجزة لرأوها ، فهل يصح الاذعان بذلك والقول بعدم نبوة عيسى .

وثانيا بالحل بان النصارى الذين يستشهدون بذكرهم هؤلاء المفترون لم يعرف العرب من بلغائهم احدا وليس لهم مزية الانصاف في الحكم لو وجد منهم بلغاء حتى يجعلوا حكما في مثل

بلاغة القرآن ، وهكذا القول في عوام البالغين والبالغين الذين استشهدتهم هؤلاء الملفقون اذ لم يعرف منهم رجل احسن شيئا من العلم ليكون شاهدا على بلاغة القرآن ، ومن الحيف في الحكم ان يأخذ بقول العدو في الحكم على عدوه من غير نظر الى اصل الدعوى ، فعلى الحاكم العادل ان ينظر الى الدعوى بنفسها مطلبا بينها غير ناظر الى قول الخصم وغيره جاعله دليلا على بطلان الدعوى ، و نحن سننظر في اعجاز القرآن من حيث هو فلينظر معنا طالب الحق نظر انصاف ودونه لا نظر المعاند الجاحد .

والدعوى الثانية حاصلها : انه لو ثبت ان لا بلاغة كبلاغة القرآن لم يستلزم ذلك انه وحي الله لامكان ان ينفرد انسان بعمل من الاعمال لا يشاركه فيه غيره كانفراده بصفة من الصفات كما انفرد افلبدس بكتابه في الهندسة حيث لم يأت به احد ممن قبله ولا من بعده مع انه ليس وحي الله

والجواب عن هذه الدعوى الثانية : ان هذا الكلام ناشئ عن الجهل بحقيقة المعجز ووجه دلالته على صدق المدعي النبوة فلنوضح

ذلك لينكشف مبلغ الجهل الذى اعمى هؤلاء المضلين واصمهم عن الحق المبين

ان الكلام فى معجزة الانبياء متفرع على الاعتقاد بوجود المبدأ المختار العادل جل جلاله وبعثه للانبياء ارشادا لخلقه الى ما فيه صلاحهم وفسادهم وان الملتين متفقون فى نتيجة هذه الاعتقادات وان لبسها النصارى الف ثوب من الخرافات ورقعها الاشاعرة ببعض رقع الباطل .

وانما قال الملتون ببعث الانبياء لان الناس خلقوا مختارين فى افعالهم غامضة لديهم اسرار الوجود واحكام الاجتماع فبعث الله النبى لكشف هذا الغموض ولتقييد اختيار الانسان بفعل ما يصلح الهيئة الاجتماعية وترك ما يفسدها ويكفى ان يكون فى البشر نبى واحد يهدى الى سبيل الصلاح ، ولكن لما كان البشر بدء نشوهم على غاية من الجهل فى مدركاتهم غير محتاجين الى كثير من القوانين الاجتماعية لضعف جامعتهم كان الاحتياج محدودا ، ولما كانت مدركاتهم اخذة فى الارتقاء كلما طال الزمان والاجتماع اخذة بالقوة والتكاثر حسب تكاثر البشر وازدحامهم

احتاج الانسان الى قوانين مختلفة لكل زمان ما يناسب
اهله وهذا سر تعدد الانبياء الى ان حان الوقت الذى
يقبل البشر فيه قوانين صالحة لهم فى كل ازمانهم وامكنتهم
على اختلاف سجاياهم وغرائزهم ، وذلك هو الزمان الذى
بعث فيه محمد صلى الله عليه واله بجميع الاحكام والقوانين
اللازمة للبشر ما دامت هذه الحياة فلم تبق حاجة الى
نبى بعده لان حلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرامه حرام
الى يوم القيامة .

واذ كان البشر فى حاجة الى نبى مرشد والناس جاهلون
به كان حقا على الله ان يميزه عن خلقه بشئ لا يوجد لديهم
بحيث يظهر ان ذلك من الله لتصديق نبيه فى دعواه وذلك
المميز يسمى معجزا ومعجزة ، وذلك المعجز لا يمكن ان يكون
صفة فى النبى او غريزة فيه لان المعجز يجب ان يكون مطابقا
للدعوى مشعرا بصدقها والصفة الخلقية والخلقية لبسة
كذلك فوجب ان يكون حادثا يحدث حين الدعوى من الله
تعالى بحيث يعجز عنه البشر .

ولقد ذكر العلماء للمعجز حدودا وشرائط وفصولا

بنزوحها عن الحرفة والشعوذة والصنعة والتحر وغير ذلك،
ومرجع جميع ما ذكروه الى امر واحد وهو ان يعلم ان ذلك الحادث
اى المعجز من فعل الله تعالى لتصديق نبيه فيجب (١) ان تكون
المعجزة مما لا يقدر عليها البشر والا لما دلت على صدق
المدعى و (٢) ان تكون مقارنة للدعوى والا لما دلت
على صدق النبى كما قدمنا و (٣) ان تكون خارقة للعادة
تحدث قبل الدعوى بالف سنة مثلا وبهذا نعرف ان
المعجزة لا تكون صفة فى المدعى ولا غريزة و (٣) ان
تكون مما تحدى بها النبى اى ذكرها وقال انها معجزتى
وآية على النبوة فلو لم يتحد بها كان لم يذكرها ولم يصرح بها
قبل وقوعها لم تدل على انها حدثت لتصديق النبى و (٤)
ان تكون غير متوقفة على آلة او واسطة او منشأ فى الحدوث
والا لما دلت على انها من الله لتصديق النبى كالتحر و
الشعوذة وبعض الصنايع الغريبة والمكتشفات العجيبة
و (٥) ان تكون مطابقة للدعوى فلو حدثت معاكسة
كانت دليلا على كذب المدعى كما نقل عن مسيلمة انه
لما سمع بحديث بصاق النبى فى الاباء الماء فاغدق ذب

مائها وفى الناضبه فغاضت وفى حين الاوهد فبرء
الماء ان يفعل مثل ذلك فنضق فى بئر فغار مائها وفى
اخرى فاشتدت ماوحتها وفى عين اوهد فاعماه الله او
حين اعترضوا عليه قال انى تسرعت فى ذلك قبل ان ينزل
على الوحى والآن فاذن لى فى ابدانكم ولم يؤذن لى فى
ابصاركم فلم يأته احد للاستشفاء مخافة التلف .

هذا اشئ ماذكره العلماء فى شروط المعجزة .

وما ذكرناه يعرف وصف المعجزة ووجه دلالتها على صدق
النبى الذى يجئ بها . وخلاصة ذلك ان الله جل شانه
فاعل بفعل ما فيه المصلحة وبترك ما فيه المفسدة ومن
جملة المصالح التى يفعلها بمقتضى عدالته وحكمته ارسال
الرسل من الخلق لهدايتهم وتابيدهم بمعجزة تدل على
صدقهم وثالثا المعجزة انما تكون حادثة خارقة للعادة
مطابقة لدعواه للدعوى غير موقفة على اله ولا واسطة
ولا منشأ فى الحدوث يتحدى بها النبى وبذلك تكون دالة
على انها من الله جل جلاله لتصديق نبيه . ومثالها
قلب العصى حية لموسى وابراء الاكمه والابرص واحياء

الموتى لعيسى وردّ الشمس ليوشع وشقّ القمر والقرآن وغيرها
من المعجزات لمحمد وهكذا معجزات جميع الانبياء عليهم افضل
الصلوة والسلام ، فان التحرّم علموا انه لا اله ولا طريق
ولا منشأ لما اتى به موسى وانه خارج عن طريقة التحر
ولا محدث له الا الله فصدقوه وكذلك كل من شاهدوا
معجزات الانبياء علموا ان لا منشأ لمعجزاتهم ولا واسطة الا الله
فلا آلة طبية لعيسى ولا خدع بصر ليوشع وهكذا النبي محمد
صلى الله عليه وآله في ما جاء به من المعجزات فان العرب
علموا انه لم يتعلم التحر ولا الكهانة ولا السفسطة ولم يستعمل
اي آلة في احداث المعجزات بل لم يتعلم حتى الكتابة ولم يسبق
له تعلم عند احد قط ، واكبر ادل ما جاء به من المعجزات
هو القرآن الكريم لان معجزات الانبياء كلهم وكثير من معاجز
النبي محمد صلى الله عليه وآله غير القرآن لم تكن الاحوادث
خارقة للعادة وفي القرآن مزية فوق ذلك وهي انه حادثة
خارقة للعادة في امر مقدور فان الكلام والبلاغة فيه
مقدوران للبشر ووجود شيء غير مقدور في امر مقدور يلتبس
في الاعجاز من احداث غير المقدور راسا ، وبعبارة اخرى

ان المعجزة تنقسم قسمين الاول ما هو معتاد وعلى البشر قاسا
بجنسه وفصله كاحياء العصى والموتى وابراء الاكمه والابرص
من دون آلة طبيه والقسم الثانى ما هو مفقود وللبشر بجنسه
معتاد وبفصله وهذا بلغ فى الاعجاز كالقران فان جنسه
وهو الكلام البليغ مقدور للبشر وفصله - وهو ما به صار
القران خارجا عن طوق البشر - غير مقدور وهذا ابلغ
فى الاعجاز وادعى للمعجزة فان العرب بدون افهم قادرين
على الكلام البليغ ظاهرين عن ان يأتوا بمثل القران ولم يعلموا
لذلك منشاء فيدهشون لذلك وتزداد حيرتهم لعجزهم
عما هم قادرون عليه فلا يتكون انه من الله اما بصرفهم عنه
او بايصال المقدور الى درجة غير مقدوره . ولئن كان
احتمال السحر وخدع البصر جاريا فى معجزات موسى وعيسى
فان ذلك الاحتمال لا يجرى فى القران لان موضوعه وهو
المعجزة فى الكلام البليغ المقدور بحيث يعجز عنه البشر - خارج
عن قبول السحر والشعوذة والخدع فى البصر وهو معجزة خالصة
حتى عن شائبة الاحتمال .

بقي هنا مجال للسؤال في عموم المعجزات وهو انه يمكن
ان يدعي انسان النبوة ويأتي بشعوذة او سحر او غيرهما مما يخفى
سببه استعمالا لواسطة فيظنه المناظر من دون آلة
ولا منشاء ويشبه حينئذ بالمعجزة ولكن هذا السؤال غفلة
عن ما ذكرنا في وجه الاستدلال بالمعجزة من ان الله عادل
لطيف بعباده يفعل ما فيه صلاحهم ويترك ما فيه فسادهم
فاذا اتفق مثل ذلك كان حقا على الله ان يفضح المدعي دفعا
لما ينشأ من الفساد بسبب ذلك ، فاذا لم يفضح الله المدعي
فالعقل حاكم بمعذوريته من بعد فيه اذا لم يكن مقصرا في النظر
والاستفسار لان الوصول الى الحق عليهذا يكون متعذرا
وعدل الله مانع عن ان يعاقب على غير المقدور فليس في ذلك
على تقدير وقوعه من محذور .

اذا عرفت جميع ما تلوناه عليك تبقنت جهل هؤلاء
الهاذين لعدم تمييزهم بين القرآن وبين مثل كتاب مسيلمة
فان الاول جامع لشرائط المعجزة دون الثاني لان صاحبه
لم يتحد به اولا ولان منشاء معلوم ثانيا حيث انه عبارة

عن قواعد طبقها اقليدس على الاشكال والاجسام الهندسية وغايته ما امتاز به اقليدس انه اهتدى الى تلك القواعد ودونها وبعد ان دونها اقليدس عرفها الناس وعلموا منشاها وطبقها كل من اراد تطبيقها فعلم من ذلك انها ليست من الله لتصدق نبي ولا يلزم عقلا ان يفتح الله اقليدس اذ لم يدع شيئا ، وان هذا من القرآن الذي تحدى به النبي العرب فعجزوا بالعجز عنه وهم ساخطون - كما سيجيء بيان ذلك - ولم يعرف احد منشاء الاعجاز الى الآن مع افراد جميع العرب به ، ولو لم يكن حقا لكان من مقتضى العدل واللطف على الله تعالى ان يبين بطلانه ارشادا وحفظا لعباده عن الوقوع في الضلالة والهلكة .

فما كتاب اقليدس بأعجب من الاكتشافات الفنية العجيبة في الفنون والصنايع كالمراصد الفلكية والآلات الطبيعية والكيماوية وقواعدها والة البرق وحفظ الصوت ونقله والة البرق ونقل الصوت اللاسلكيين والطيارات وغيرها .

اتصح ان بعد ذلك معجزة كلا لان مخترعيها لم يتحدوا بها

اولا . ولانهم لو تحدوا بها لم يصد فوا ثانيا لان منشأ ما
معلوم وبعد اختراعها قد وكل دارس لها ان يضع مثلها
والمعجز مما لم يقدر واحد من البشر على صنعها لا قبل حدوثها
ولا بعده وغايته ما امتيازه اولئك المخترعون هذا الى
هذا الاختراع ، فحالم وحال اقليدس اشبه بحال فقير
وجد كنزا مخبئا تحت الارض فصار غنيا ، اصح ان بعد
ذلك معجزة له ؟ او نقاس به معاجز الانبياء ؟

على ان كتاب اقليدس الذى ذكروه قد تصرف فيه
العلماء اكبر تصرف وكشفوا خطأه فى مقالة واحدة من
من مقالاته او ثنتين وغيروا فيه وبدلوا ، وابن هذا
من القرآن الكريم الذى فصرف يد التصرف ان تناله بالزيادة
والنقصان وجل عن الخطاء فى جميع احكامه .

من هنا يقف المنصف الخبير على مبلغ بعد هؤلاء
الدجالين عن الانصاف وتشكهم فى دعواه الباطل ،
ومن الغريب المضحك وكل ما فى هذه التلفيقات مضحك
غريب ما جاء فى اخر هذا الدليل من — قولهم وكثيرا ما

ما يرجع لتفضيل احد البلغاء على الاخر الى حب المفضل
او الى الفته لكلامه او كثرة تلاوته او ذوقه او شدة
احترام قائله والمسلمون يؤمنون بان القران كلام الله يفضلونه
على كل ما سواه ولو لمجرد هذا الايمان فتأمل فى هذا
وانصف ان الله يحب المنصفين

هذا ما قالوه ونشدقوا بالانصاف وما ابعدهم عنه
فى اى جملة من هذه الجمل يوجد الانصاف انى فولهم ان كثرة
التلاوة سبب لتفضيل الكلام والامر بالعكس فان كثرة
التلاوة توجب الملل والسئم الذين يؤديان الى النفرة الداعية
الى حسبان الكلام مفضولا ام فى قولهم ان الالفة سبب
ذلك . والالفة وكثرة التلاوة لا يجتمعان ، ومما اختص
به القران الكريم انه على كثرة تلاوته لا يزداد الانسان
الا الفة له بخلاف غيره من الكلام فان الانسان ينفر
اذا اكثر ترديد والقران ليس كذلك فانه كما قيل

هو المسك ما كررته يتضوع

واذا سلمنا لهم ذلك على سبيل التنزل فان ما ذكروه
مفقود بالنسبة الى القران الكريم لان النبى صلى الله عليه

واله بعث بالرسالة ودعى الناس الى نبذ عاداتهم واخلاقهم
وكل ما الفوه حتى آلهتهم والتقيد بقيود القوانين الاجتماعية
الصالحة للبشر لما بعث بذلك كبر ذلك عليهم على الناس وكرهوا
استماع قوله وناوءوه اشد مناوءة ومنه بجميع الوسائل التي
كانوا يتمكنون منها الى ان اختاروا الحرب على الاستسلام
له ولا فنى منهم انواع المصائب والاهوال كما هو مذكور
ثابت في سيرته صلى الله عليه واله وتاريخ اول بعثته ،
ومع هذا هل يمكن ان يقول احد - الا الجاهل المعاند -
ان الناس كانوا يحبونه وهم كانوا قد كرهوا انعاشه و
بغضوه وشنأوه ؟ ان يقول انهم اكثروا من تلاوته والقرآن
بدء نزوله لم يكثر من تلاوته احد بعد ؟ او يقول انهم
الفوه اوافق اذواقهم والعرب في اول امد ما نزل فيه
الا ان يكون المراد من الذوق والالف هو فهم اعجازه
للبشر عن الاتيان بمثله بلاغة لان مرجع البلاغة الى
الذوق فيكون ذلك صحيحا وهذا هو معنى المعجز ؟ او يقول
بان العرب كانوا يحترمون قائله بدء ظهوره وهم لم يدعوا
وسيلة للاستهانة به الا اتبعوها تمسكا بعقائدهم

وغادائهم الفاسدة فجميع ما ذكروه من الاسباب لتصديق العرب باعجاز القران على فسادها فى نفسها مفقودة وليس لهم من سبب للتصديق بأعجاز القران الا عجزهم عن الاتيان بمثله ،

بقى قولهم : والمسلمون يؤمنون بان القران كلام الله الى اخره فنقول هذا كلام لا معنى له فى هذا المقام لان كلامنا فى العرب الذين سمعوا القران بدء نزوله ولم يكونوا يومئذ مسلمين فضلا وسبب ايمانهم واذعانهم لعجزهم عن الاتيان بسورة من مثله وهم لم تكن لهم من محبته ولا الفته ولا ذوق ولا اكثار وتلاوة ولا احترام لقائله الذى ربى بين العرب اسيا يتيما يكفله جده وعمه الى ان نشأ راعيا ثم تاجرا عند امرأة يرتزق من كسب يده فهل للمتصدق به من سبب الا انه جاء من الله بما يعجز عنه البشر بلا قهر ولا سلطان ولا مال ولا غير ذلك

فانظر الى جهل هؤلاء القوم فيما يتكلمون ومبلغ تعصبهم وتأمل وانصف ان الله يحب المنصفين

١٥ — دليلهم التابع ، وحاصله ان المعجز يجب ان يكون

ظاهرًا لكل مشاهد من العلماء والجهلاء كابراء الاعمى
واقامة الميت ومعجزة القرآن بالفصاحة والبلاغة
غير ظاهرة ولا يحسن ان تكون دليلًا على ان الكلام وحي
من الله تعالى .

هذا قولهم ولو كان لهم ادنى شعور لخجلوا منه لكنهم
يتكلمون بلا شعور . انظر الى قولهم ان المعجز يجب ان
يكون ظاهرًا لكل شاهد الخ ، وناقل ما المراد منه .
فان كان المراد بالمشاهد كل من يمكن ان يكون شاهدًا
ولو بعد ظهور المعجزة من باب اطلاق المشتق على من
يتلبس بالمبدء في الاستقبال مجازًا - فلا يمكن اثبات
نبوة اي نبي لاهل زماننا هذا فان ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى لعيسى ، وقلب العصى حيته واليد البيضاء
لموسى غير ظاهرة لاحد منا كما ان وجه اعجاز القرآن
غير ظاهر لنا نحن ، وان كان المراد بالمشاهد حقيقته
وهو من كان شاهدًا حين ظهور المعجزة فان اعجاز القرآن
كان ظاهرًا لكل مشاهد من العرب في زمان ظهوره حتى عجز
جميعهم بالعجز عن الاتيان بمثله وامنوا وكان المشاهد

له اكثر من مشاهدى معجزة موسى وعيسى لان العصى واليد البيضاء لم يشاهدها الا من كان حاضر محشد فرعون وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى لم يشاهدها الا قليل ممن رآها بعينه وبعد ذلك لم يبق لها اثر يرى لانها من الافعال المتجددة الحدوث المنقضية بانقضاء زمان حدوثها ، بخلاف القرآن فانه ظهر للناس فشاهدوا اعجازه وبقى بايديهم يتداولونه ويشاهدون اعجازه فرونا منطاولة الى ان فسد اللسان العربى باختلاطه بغيره من اللغات ، فبقى القرآن بايدى الناس يهتدون بهداه ويستصبحون بمصباحه واعجازه ثابت لديهم بالبرهان القطعى الذى لا يقبل الشك . وبقلة اعجاز القرآن اكثر من نقله معجزات موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء فانا لو غضضنا النظر عن ذكر القرآن لمعجزاتهم لم يبق لنا طريق لاثباتها ولا دليل بخلاف القرآن فان اعجازه للعرب عن معارضته اصبح ضروريا قطعيا لكثرة ما نقل عن العرب بطرق مختلفة متواترة يجزم بها كل من شاهدها كما سيأتى .

وحاصل القول : ان طريق ثبوت معاجز موسى وعيسى

لنا هو طريق اثبات اعجاز القرآن ولكن مشاهدي اعجاز القرآن ونقلته اكثر من مشاهدي معجزات الانبياء الاخرين ونقلتها وان ذات القرآن للمعجز باقية بايدي الناس تهديهم بانوارها الى يوم القيامة بخلاف معاجز سائر الانبياء فلا عصى موسى ولا ميت احياه عيسى ولا غير ذلك من معاجز الانبياء ما هو باقٍ الى الان فالقرآن اولى واحرى بالتصديق والاذعان من معاجز جميع الانبياء .

(١٤) دليلهم الثامن وهو لا يفهم وكانهم لم يقصدوا الا تلفيق الالفاظ وان لم يكن لها معنى ، فانهم قالوا في هذا الدليل انه يمكن عقلاً ان يأتي انسان بافصح العبارات واحسنها نظماً وهي تحكم بان الله شرير فهل يصدق قائلها اذا اتخذ ذلك دليلاً على ان عبارته من وحي الله والا فما الدليل على ان ذلك محال .

هذا قولهم وانت بعد ما تلوناه عليك من شرائط المعجز ووجه دلالتها على صدق النبي تعرف ان هذا القول عار عن كل معنى . فان العبارات الفصيحة ان كانت بدون وجه الاعجاز فلا يمكن ان يحكم بان الله شرير فان هذا الحكم

مخالف لصريح العقل وهو مسقط لألاعجاز تلك العبارة لان المعجز لا يمكن ان يتطرق اليه الخلل . وبالجملة اعجاز الكلام موجب لعدم اشتماله على مثل هذا الحكم واشتماله على مثل هذا الحكم دليل على انه ليس بمعجز ، فالاعجاز وهذا الحكم ضدان يستحيل اجتماعهما واعتقاد بعض امة الاديان بنسبته الشر اليه تعالى لا يصلح ان يكون دليلا على صحته هذه النسبة فان المرجع في الاعتقاد هو العقل الصريح لا اقوال الرجال الباطلة فان التقليد في الاعتقاد باب جهالة وضلالة ، ولا يضرنا قول الاشاعرة بذلك وان كانوا اكثر من فان الكثرة لا تجدي نفعا في اعتقاد الانسان الذي يجب ان يعول فيه الا على الفكر والعقل .

وهنا امر ينبغي التنبيه عليه فيما سبق ونشير اليه ههنا وهو ان الحادثة اذا استجمعت شرائط المعجزة بحكم العقل بان الله تعالى يفصح من يتمسك بها الاثبات دعوى باطلة بقاعدة اللطف والعدل التي بنى عليها القول بالمعجزة كما مر ، فلو فرض انسان جاء بمعجزة يصدقها لدعوى نسبته الشر اليه تعالى فلا بد ان يفصحه الله حفظا للعباد

عن الوقوع فى الهلكة والضلالة .

على ان كلامهم لا معنى له فى نفسه ويظهر ما له اذا عارضناه بقولنا يمكن عقلًا ان يأتى انسان باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ثم يدعى ان الله شرير تعالى عن ذلك فهل يصدق قائله اذا اتخذ ذلك دليلًا على ان ذلك من صنع الله والا فما الدليل على ان ذلك محال .

نقول لهم هذا القول معارضته وان كان لا معنى له وكل ما يجيبون به هنا نجيبهم به عن دليلهم .

(١٧) دليلهم التاسع وهو مركب من مقدمة ودعاوى وكلها باطله ، اما المقدمة فهى ان علماء المسلمين اجمعوا على ان البلاغة فى الكلام هى ان يكون فصيحًا مطابقًا لمقتضى الحال . والفصاحة فى الكلام ان تكون كلماته فصيحة ويكون سالمًا من ضعف التاليف والتنافر فى الكلمات والتعقيد والتكرار . والفصاحة فى الكلمات سلامتها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ومن الكراهة فى السمع ، واما الدعاوى فمجموعها ان كثيرًا من القرآن غير بليغ لانه لم يخلص من شئ مما تقدم .

نلوضح المقدمه ليتضح بطلان الدعوى وهى مركبة من
دعاوى ثلاثة وكلها باطله اولا ما قولهم: ان علماء المسلمين
اجمعوا على ان البلاغة هى ما ذكروه وليس الامر كذلك فان
محققى علماء البلاغة انكروا ان تكون الكراهة على المنع فى
الكلمات والتكرار فى الكلام مخلا بفصاحتهما ومن ذكر التكرار
لم يذكره بوجه عام مخلا بل قال ان كثرة التكرار لا لفائدة مخلة بالفصاحة
وسيأتى تفصيل ذلك وثانيتها ذكرهم التعقيد مخلا بفصاحة الكلام
دون ان يميزوا بين التعقيد اللفظى والتعقيد المعنوى وثالثتها حسبانهم
ما ذكر من حدود الفصاحة والبلاغة حدودا لها يميز بواسطتها
فصاحة الكلام العربى وبلاغته بحيث يعرض الكلام العربى عليها فما وافقها
منه كان فصيحا وبليغا وما لم يوافقها كان خارجا عن البلاغة والفصاحة
وليس الامر كما حسبوه فان المرجع فى تمييز الفصيح من غيره ليس هذه الحدود والشرائط
بل الذوق العربى السليم لاغير اذ ان هذه الحدود
انما استنبطها العلماء من كلام العرب لانهم استقرؤا ما كان يصفه
العرب بالبلاغة من الكلام فراوه خالصا مما ذكروه مطابقا لمقتضى
الحال فحكموا ان الكلام البليغ ما كان خالصا مما ذكر مطابقا لمقتضى
الحال فالكلام العربى هو مصدر وعلم البلاغة واذا كان كذلك

فهو المبرز في العلم البلاغة لان علم البلاغة مبرز له . وحينئذ فائدة علم البلاغة هو اقتدار الانسان على التكلم بكلام بليغ ومعرفة اسباب البلاغة ووجوهها في كلام العرب لا تمييز الكلام الصادر عن العرب فان علم البلاغة لا يمكن ان يكون معيارا للمصدوه وما خذ بلا المعول في ذلك على حكم العرب فما حكموا ببلاغته فهو البليغ وان خالف ما ذكره علماء البلاغة وما حكموا بعدم بلاغته فليس ببليغ وان وافقها .

ومثل علم البلاغة في ذلك علم النحو والصرف وسائر علوم العربية فليس المعول في تمييز الصحيح من غيره فيها على ما ذكره النحاة والصرفيون وغيرهم من القواعد لانها قواعد استحدثت بعد اللغة بقرون عديدة بل المعول على حكم العرب انفسهم فما صححوه فهو الصحيح وعليه تبنى القاعدة وما خطأوه فهو الخطاء لانهم اهل ذلك اللسان قبل البيانيين والنحويين والصرفيين وصاحب البيت ادرى بما فيه .

فمن الخطاء الفاضح تخطأة كلام عربي حكم العرب بصحته بحجة انه مخالف لقاعدة نحوية او صرفية او بيانية . وذلك الكلام هو منشاء تلك القواعد بل يجب تخطأة النحوي او الصرفي

او البيانى اذا ذكر قاعدة مخالفة لكلام العرب لانه انما
يذكر ما كان عليه الكلام العربي من النظم فى قواعد ولذلك
نرى النحويين او الصرفيين او البيانيين يستشهدون على
ما يذكرونه من القواعد باشعار العرب وليس ذلك الا لانهم المرجع
فى معرفة الصحيح من كلامهم والخلاصة ان مثل النحوى والصرفى
والبيانى مثل ناقل خبر ان طابق خبره الواقع كان صدقا
والا كان كذبا ومطابقة اخباره لتلك الناقلين للواقع ان
توافق الكلام العربي وعدم مطابقتها ان لا توافقه فالقواعد
التى يذكرونها ان طابقت الواقع كانت صدقا والا كانت
كذبا .

وبهذا تعرف جليا بطلان ما ذكره هؤلاء الدجالون
فى دعوام مخالفة القران للبلاغة بجهة عدم سلامته مما ذكر
العلماء السلامة منه شرطا فى البلاغة كما تعرف بطلان
جميع ما عابوه على القران فى مخالفته للقواعد النحوية والصرفية
وذلك لان القران كلام عربي اعرف جميع العرب ببلاغته
وانه خارج عن طوق البشر فيجب ان يكون هو المرجع للقواعد
العربية تعرض هى عليه فما قبله منها كان صحيحا وما لم

بقبله كان خطاء لان تكون القواعد مرجعًا له ، ولئن سلمنا عدم خروج القرآن عن طرق البشر فهو من البلاغة بد وجه غالبه لا نقل عن شعر امرئ القيس والنابغة والاعشى واضرابهم فكما كانت اشعار اولئك البلغاء مرجعًا فى استنباط القواعد العربية فلا بد ان يكون القرآن مرجعًا لها منه تستنبط تلك القواعد واذا كان كذلك فكيف يعاب بمخالفته لها بل يجب ان تعاب هى بمخالفته اذا خالفته على انه لا مخالفة له كما ستتضح ذلك بذكر مفردات ما خابوه فى هذا الدليل وهى .

اولا دعواهم ان التنافر فى المفرد والمركب موجود فى قوله تعالى الحاقة ما الحاقة ، وفى قوله وانفقوا مما رزقكم ، وفى قوله الم اعهد اليكم الخ

قلنا ليس فى هذه الآيات شئ من التنافر وان عبروا الآية الثانية من قوله واذا قيل لهم انفقوا ليكون لما ثقل على اللسان نموها على القارئين ، ولو فرض ان فيها شيئًا من التنافر فان هذا المقدار منه لا يخل بالبلاغة لان العرب قد قبلوه وحكموا ببلاغته وهم المرجع فى ذلك كما قدا وضحنا

وسيجئ ذكر قبولهم له ، وقد يدل قبولهم له على عدم تنافره عندهم لان التنافر عبارة عن الثقل على اللسان وهو يختلف باختلاف اللغات فرب كلمة تكون ثقيلة على لسان قوم غير ثقيلة على لسان اخرين وقد يختلف ذلك باختلاف اللغات فان العربي مثلا يثقل على لسانه جميع اللغات الانكليزية وبالعكس فهل يصح للعربي ان يعيب اللغة الانكليزية بالثقل كلا ! بل مرجع كل لغة الى اهلها ويجوز ان يكون ما نستثقله اليوم من الكلمات خفيفا على لسان فصحاء العرب لان التفاوت بيننا وبينهم ليس باقل من التفاوت بين العرب والانكليز . فهم المرجع لا نحن . وهم لم يعيبوا هذه الالفاظ بالثقل ، وبالجملة العرب قضاة هذه الخصومة النافذ الحكم فاذ حكموا بعدم اخلال ذلك بالبلاغة يجب ان يقبل حكمهم وان كان ثقيلا على السنتهم فلنا هذا المقدار من الثقل لا يخل وان لم يكن ثقيلا فليس بمتنافر وعلى كل حال لا مجال لتحكم هؤلاء الجاهلين فكلامهم من السقوط في مكان سحيق .

وثانيا دعواهم الغرابة في لفظ الكوثر يجاب ان معاصري النبي لم يعرفوا معناه فقال لهم انه دون ما الكوثر انه نهر في الجنة

وعذبه ربي وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير انتهى

قلنا الغرابة هي كون الكلمة غريبة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مانوسة الاستعمال وتختلف ذلك باختلاف القبائل ولغاتها فرب كلمة تكون غريبة عند قوم مألوفة عند آخرين . واذا اردت تمييز الغريب عن غيره رجع الى اهل اللغة التي كان بها التخاطب فما الفوه كان مألوفا مفهوما وما نفروه ولم يفهموا معناه كان غريبا وحشيا ، ولفظة الكوثر كانت مألوفة في لغة الحجاز التي نزل بها القرآن قال امية بن ابي الصلت

يجازي بما يحضى اذا ما احتدمن

وجمعن في كوثر كالجلال

وقال الكميت

وانت كثيرها بن مروان طيب

وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

فالكوثر يستعمل عند العرب بمعنى العطاء الكثير وبمعنى كثير العطاء وقالوا لكوثر الشيء اذا كثر قال حسان ابن ثابت :

ابوا ان يبجحوا جارهم لعدوهم

وقد ثاد نفع الموت حتى تكوثرا

وكيف تدعى عوانه هذه اللفظة فى لغة الحجاز وان اهل تلك اللغة قبلوا كلاما فيه الكوثر وعدوه فى اعلى مرتبة من البلاغة ولو كان غريبا لم يقبلوه ، واما تفسير النبى صلى الله عليه واله للكوثر بانه نهر فى الجنة فليس ذلك لان العرب لم يفهموا معناه بل من باب ذكر المصداق للعام ، يعنى ان الفرد لاسم الجنس ، كما يقال لك اكرمت رجلا وانت تعلم ان الرجل المكرم هو على بن الحسين مثلا فتقول لاصحابك انك دون من الرجل المكرم انه على بن الحسين فهل يكون لفظ الرجل غريبا معيبا استعماله ؟ وهكذا كل عام لم يتعين مصداقه ومنه الكوثر فان معناه الخير الكثير او الكثير من كل شئ قال اهل اللغة : كوثر كجوهر الكثير من كل شئ وله مصاديق كثيرة فاراد النبى صلى الله عليه واله يعين مصداقه الذى قصد بهذه الاية فقال ان المراد من الخير الكثير هنا نهر فى الجنة لا خير كثير فى الدنيا فليس بين ما نقل عن ابن عباس وبين الحديث اختلاف ولا منافاة بل هما شئ

واحد وان خفي معنا ما على هؤلاء الاغبياء

ولو فرضنا تعريبا وجب ان نقول هذا المقدار من الغرابة لا يخل بالبلاغة بدليل ان العرب لم يروه مخلا كما سيجيء ولهم الحكم في ذلك كما مر .

وثالثا نقول لهم ان في قوله تعالى وانبتكم من الارض نباتا مخالفة للقياس لان قياسها انباتا الخ

هذا ما زعموه وهو باطل في سوء الفهم فلنوضح ذلك .

ان مخالفة القياس هو عبارة عن المخالفة في الاشتقاق في مفردات الالفاظ كالفك في مقام الادغام كقوله :

الحمد لله العلي الاجلل . وقياسه الاجل وكالجمع قياسا في غير موردهِ والتصغير على خلاف قاعدته والتشبيه على خلاف قانونها وغير ذلك ، وحيث كثر السماعي في مفردات اللغة لم تكن قواعد الصرف مضبوطة على وجه العموم بل كثر الشاذ عنها في اللغة فكانت قواعد الصرف غالبية . والمرجع في المفردات هو اللغة لا غير لان القياس فيها غير عام فلا يمكن الحكم على كلام لغوي حكم العرب بصحته انه مخالف لقياس اللغة بعد ان كان السماعي ليس بأقل من القياسي . ومن ذلك انبته المصادر الآتي لا ادري ان التي ذكرت

للمصادر القياسية غلبة قل ما لا يوجد فيها الا ما ذكر لذلك اختلف المصدر في تعداد الاوزان القياسية فزاد فيها قوم من الصرفيين حاسبين ما زاد داخلا في القياس ولم يستقرأوا تمام على عدد متعين من الاوزان، فاذا ورد مصدر في كلام عربي صحيح العرب لا يمكن القول انه مخالف للقياس اذ القياس هو حكم العرب ومن الواضح ان العرب صححوا مد الابه في ضمن القرآن الذي اعجزهم ببلاغته كما سنوضحه فهل يصح لغيرهم ان يحكموا في لغتهم مدعيا ان حكمهم فيها خطأ .

على ان اصل اللفظ قالوا انبت الله البقل فهو منبوت على وزن مفعول فيدل على ان مصدره عندهم نبات ولو كان انباتا لكان اسم مفعوله على منبت بوزن مفعل واذا كان كذلك فالقياس انبتكم نباتا لا انباتا .

هذا اذا جاريناهم على الاعتباء في عباراتهم وقلنا ان نباتا في الاية مصدر من الانبات وانه مفعول مطلق منصوب بفعل من لفظه لتأكيده ، والا فالواقع ليس كذلك فان نباتا ليس بمفعول مطلق فهو ليس بمصدر لانبت وانما هو مفعول به منصوب بانبت لتضمنه معنى خلق وصير فهو من افعال التحويل التي تنصب مفعولين والنبات في اللغة اسم من نبت الغلام

نباتا اذا بلغ مبلغ الرجال على ما ذكره ائمة اللغة فمعنى الآية
والله اعلم خلقكم من الارض اناسا كاملين اى صيركم وحولكم
بعد ان كنتم نواة اناسا كاملين . هذا هو المفهوم من الآية
الكريمة ولعله المراد من قول الزمخشري فيما نقلوه عنه
في الكشاف من قوله : لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا
محالة لحدوث النبات .

فان قالوا لو قال انباتا لادى هذا المعنى قلنا كلا ؛ فان
الانبات لو صح لدل على تجدد فعل المحدث بالكسر والمراد الدلالة
على حدوث المحدث بالفتح فلا بد من ذكر النبات دون
الانبات . فانظر الى هؤلاء الاغبياء كيف مسخوا معنى الآية
وحكموا بخروجها عن القياس وخطاء الزمخشري في صوابه
ولست ادري السبب في ذلك هل هو الغباوة او التعوية وبئس
الخلتان هما للانسان الكامل .

على انا لو نزلنا عن هذا المعنى وقلنا ان نباتا في الآية
مصدر وهو مفعول مطلق جاء لتاكيد الفعل وان قياس مصدر
انبت ان يأتي على انبات فلا يلزم ان يكون في الآية مخالفة قياس
لان نباتا في الآية لا يلزم ان يكون مصدر انبت بل مصدر نبت

ويكون حينئذ منصوبا بفعل من معناه لا من لفظه واذا كان من القياس في لغة العرب نصب مثل قعود بمثل جلس على سبيل المفعول المطلق للتاكيد فلم لا يجوز نصب نبات بمثل انبت على انه مفعول مطلق وما السبب في الحكم بانه مخالف للقياس هل هو الا التعصب او الجهل او التمويه والا فلا يتصور مانع لذلك الا التعدي في الفعل واللزوم في المصدر وهما لا يؤثران في تغيير اصل المعنى المبني على المادة دون الهيئة ولعل هذا المعنى هو المستفاد من قول الزمخشري فيما نقلوه عنه من قوله : انبتكم نبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم

اذا نظرت الى محل هؤلاء الاشراف في هذا الكلام ايقنت ان من العبث والوهن مناظرتهم لانهم قوم صمموا ان لا يهتدوا الى الحق ولو وضحت سبله ، ثم انهم يتهجمون بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولم يكفهم ذلك حتى خطأوا ائمة اللغة العربية مثل الزمخشري في صوابه الذي بيناه ، وبعد ذلك دموا لقواعد العربية سهاما طائشة وخطاؤا العرب فيما ذكروه من قواعد اللغة فقالوا في اخبار

هذا الدليل : ولكن ائمة المسلمين اعتادوا ان يستنبطوا من اغلاط القراء قواعد فى فنون اللغة آه . اللهم انك تعلم انى نقلت هذه العبارة بقلم مرتعش اسفا لدوس الحق والاصرار على الغى والباطل . نحن قد اوضحنا فيما سبق ان قواعد كل لغة انما تاخذ من اهل تلك اللغة بان ينظر الى كلامهم فتطبق قواعد اللغة حسب منطقهم والقرآن الكريم اولى المراجع بذلك لانه كلام عربى ولان العرب جميعا شهدوا ببلاغته ولانه صار معرض التعقيد والتثقيب من العرب حيث جاء على خلاف معتقداتهم وطبايعهم واخلاقهم فجهدوا فى تخطئته وانتقاده ولم يجدوا منه موردا يمكنهم القول ولو عنادا بتخطئته ، فهذه الانتقادات كلها لم تعرض لاى كلام عربى غير القرآن واذا كان شعر امرئ القيس الذى لم تتفق له هذه الانتقادات مرجعا وشاهدا للقواعد العربية مثلا فما الذى يمنع الائمة من اتخاذ القرآن شاهدا ومرجعا لهم مع كل هذه الانتقادات التى رأيتها والامتحانات التى اديتها .

هب اننا نزلنا لهؤلاء السفهاء ولم نعتمد على ائمة

المسلمين فيما ذكروه من القواعد العربيه فمن اين تاخذ تلك القواعد ولم ينقلها الا ائمة المسلمين فؤسسها على عليه السلام وناقلها ابو الاسود فالخليل بن احمد حتى انتهى الامر الى سيبويه والمبرد والزجاج والمازنى وابن السكيت وابن جنى وغيرهم ولم يوجد بين هؤلاء الائمة ولا نصرانى واحد حتى يعتمد على قوله ويتاخر والنصارى على قلتهم انما اخذوا هذه القواعد من ائمة المسلمين .

واذا انحصر طريق نقل القواعد العربيه بائمة المسلمين وكان هؤلاء السفهاء يتهمونهم فيها ولم يصدقوهم بما لم يبق طريق لمعرفتها والوقوف عليها واذا لم يبق طريق للوقوف عليها والعلم بها فعلى اى قاعده بنى هؤلاء السفهاء اعتراضاتهم على القرآن وكيف حكموا بمخالفته للقواعد العربيه وهم غير عالمين بها بالفرض هل لهم طريق غير طريق ائمة المسلمين او لهم الا الحكم بالغيب والقول بلا علم اذا لم يعتمدوا ائمة المسلمين اعاذنا الله من هذا الجهل الفاضح والتعصب الاعمى

ورابعا قولهم ان فى لفظ صنبرى كراهة فى السمع الخ وهذا من غرائب الاقوال فانا قد بينا ان الكراهة فى السمع

لم يذكرها من مخلات البلاغة الشاذ من البيانيين والمحققون منهم انكروا ذلك بدليل ان الكراهة في السمع ان كانت بسبب غرابة اللفظ وعدم انس الذوق به فقد دخل في الغرابة والا فلا يخل هذا ما ذكره محققوا البيانيين ولو سلمنا ان الكراهة مخلة بالبلاغة فمرجعها الى اذن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم والعرب لم يستكرهوا ذلك على القرآن فلا بد انهم لم يستكرهوه بل هو موافق لاذنهم ولذلك تلوه .

واستعمال هذه اللفظة شائع عند العرب قال امرؤ القيس

ضامن بواسد بحكمهم

اذ بعد لون الرأس بالذئب

(وانشد ابن الاعرابي)

تعلما ايها العجوزان

ما همنا ما كنتما تضوزان

فرد الامر الذي تروزان

(وانشد هو)

يتبعها كل ضبنر شدم اي اكول

(وانشد ابو زيد)

اذا ضاز عنا حضنا في غنيمة

تفنع جادانا فلم يتزمزما

يعني قولهم : الا ان يقولوا (اي المسلمون) ان الله اضطر الى الضيزى للفاصلة . وهذا قول مبني على الجهل والتعصب لان القرآن ليس بسجع مبني على غاية الفواصل بل لم يراع فيه فاصلة ما وما جاء فيه من الفواصل لم يكن لرعاية سجع ولا قافية وقد اختص القرآن بذلك من جميع الكلام العربي فان الكلام اما ان يكون شعراً منظوماً او سجعاً منثوراً او خطبا والقرآن خارج عن ذلك كله فانه لم يسبق بمثله من الكلام فلا يتصور فيه الاضطرار ، فضلاً عن انه كلام القادر المتعال تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

وخامساً قولهم : ويلحق بذلك تغيره صورة الاسم كقوله طور سنين في قوله والتين والزيتون وطور سنين وهو طور سيناء .

وهذا القول يكشف عن جهلهم الفاضح وتمويههم المعيب . فان التين اسم خاص لجبل بالشام وسمي فيها

والزيتون كذلك علم لجبل ومسجد وقريه بالصعيد وطور سنين وسينين وسيناء اسم لجبل الطور والعرب تطلق عليه الاسماء الثلاثه اما لاختلاف لغاتهم او لانه من قبيل المترادف وهو ما اتحد معناه وتعدد لفظه كاسد وليث وعضنفر للحيوان المفترس فليس في ذلك تغيير لصوره الاسم وانما هو لفظ اريد به معناه من غير تصرف كما صرح بذلك اهل اللغه والمفسرون . وليت شعري اذا كان اللغويون قد صرحوا بوضع هذا اللفظ فعلى م استند هؤلاء الافاكون في انكارهم له ودعواهم عدم وجوده وانه معرب عن سيناء هل دعاهم الى هذا الاختلاف الا التعصب وحب الباطل .

وتما قدمنا نعرف جميع ما لفقوه هنا من قولهم (١) ويلحق بذلك ولا يندري لما اشاروا هنا والذي تقدم هو التنافر والغرابه ومخالفه القياس والكراهه في السمع وليس تغيير الاسم من هذه الانواع ولا ملحقاتها .

وقولهم (ب) وهو اضطرار ليحكم التبع به منا سبب للفظ الزيتون . وقد بينا ان القرآن لم يبن على طريقه التبع فلا يتصور فيه الاضطرار لو كان من عند غير الله فكيف

وهو كلام الله العليم القدير . ومن هنا تعرف شدة خطئهم فى قولهم بعد ذلك : على انه لو قال مع هذا الخطاء والزيتون والتين وطور سينين لكان اسلب واحسن . وقد راعوا فى ذلك الباء فى التين وسينين وهى مخالفة للواو فى الزيتون ولكنك قد علمت انه لا مجال لهذا الهذيان لان القرآن فى معزل عن رعاية الفواصل والروى والقافية وانه فوق ذلك كله . وقولهم (ج) هذا ولا معنى للقسم بالتين والزيتون مع طور سينين ، حسبوا ان التين والزيتون هما الفاكهتان المعلومتان وقد بينا خطأهم لان الاسماء المقسوم بها فى هذه السورة كلها اسماء اماكن وانما اقسم بها لانها اماكن مقدسة جرت فيها وقائع سماوية كبرى لهداية البشر فكانت من العظمة والرفعة بحيث يقسم بها وهى التين جبل بالشام ومسجد فيه - والزيتون - جبل حول الشام - وقرنه بالصعيد - وطور سينين - جبل الطور - وهذا البلد الامين .

ويتضح بما ذكرنا الخبط والخلط فى قولهم : فان قيل اراد بالزيتون جبل الزيتون قلنا لا نسلم بحذف المضاف

بغير دليل ولئن سلمنا فمن اين نأتى بجبل التين ، لانا
قد بينا ان الزيتون لفظ مشترك بين الفاكهة والجبل فهو
اسم جنس لهما وعلم له وكذلك التين فليس فى الآية حذف
مضاف حتى يحتاج الى دليل والتين ذكره ائمة اللغة فنأخذ
به منهم ومن اطلاقات العرب هذه الاسماء على هذه الاماكن .
قال ياقوت الحموى فى حرف التاء فى كتاب مراصد الاطلاع فى
معرفة الامكنة والبقاع ما نصه : التين والزيتون جبلان
بالشام وقيل التين جبل ما بين حلوان الى همذان والزيتون
جبل الشام وقيل التين مسجد دمشق وقيل التين مسجد نوح
والزيتون بيت المقدس وقيل التين شعب بمكة يفرع سيله
فى بلدح والتين واحد التين المذكور وهو جبل لبنى اسد
وبراق التين منسوب الى هذا الجبل انتهى . بنصه هذا ما
يذكره علماء الامكنة والبقاع مضافا الى ما يذكره اللغويون
ولكن هؤلاء القوم سلبوا اسفرتوه الشعور مع فضيلة الاطلاع
فاخذوا يتهجمون ويهذون فاتلهم الله انى يؤفكون .

وسادسا قولهم : ومن ضعف التاليف والتعقيد

معا قوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
ومراده ان الله انزل على عبده الكتاب قيما بلا عوج ولو قال
قيما ولم يجعل له عوجا لخلص من ذلك انتهى هذيانهم .

ابعد الله هؤلاء اللصوص الموهمين . ما زلت انكر
في جوانهم وصلفهم فلا ادري لها وجها ولا ينقضي تعجبي من هفوة
لهم حتى اعثر على زلة انكى واضر .

ان هذا اللحاظ الذي لاحظوه على هذه الاية
الكريمة ذكره جميع المفسرين ليبان سر هذه الفاصلة فذكر
هؤلاء الدجالون ما لاحظه المفسرون وتركوا ما ذكروه في
الجواب عنها على الغائبين ولا حياء لهم يمنعهم عن ذلك
فلا يخشون الفضيحة والعار اذا لم يكن لهم حياء .

فلنذكرها وصل اليه اذهان المفسرين من معنى
الاية الكريمة لينكشف هذيان هؤلاء الموهمين . وهو ان الله
سبحانه علم عباده كيف يحمدونه فذكر الصلة وهي انزال الكتاب
تنبيها على علة الحمد وهي النعمة الجليلة على العباد من انزال
الكتاب الذي لا عوج فيه وهو قيم اي بين الاستقامة
فجعله لم يجعل حالا من الكتاب ورابطها الضمير في له ولفظ قيما

حال ثانى والقياس والحال يقتضيان تقديم الحال الاولى
على الثانية من وجهين الاول ان نفع العوج اقرب من
الاستقامة اذ يجوز ان يكون الكتاب خاليا من العوج
الناقض ولا يكون بين الاستقامة ولما كان المقام مقام
الاثبات فلا بد من تقديم الاعم - كما سيجئ الاعتراف به
من اهل هذه الفقرة انفسهم .

الوجه الثانى . ان الحال يراعى فيها الزمان الذى
يكون فيه الوصف فاذا قلت ساد الجيش وقد هزم امير
العدو فاتحا فلا بد من تقديم الحال الاولى وهى جملة وقد
هزم امير العدو على الحال الثانية وهى فاتحا لان زمان
الهزم مقدم على زمان الفتح وكذلك لا بد الكرمانى فان
تنزيه الكتاب عن العوج مقدم على زمن جعله قيما لان
شدة الاستقامة متاخرة وتنزيه عن التنزيه عن العوج
فكانه مقدم زمانا .

فلهذين الوجهين لزم تقديم الحال الاولى على الثانية
فاين المتعمقون وضعف التاليف الذى يدعيه هؤلاء
الاغبياء . ولو تنزلنا عن الوجهين المذكورين وفرضنا

الحالين منساويين في العموم والزمان لكان الحكم هو التخيير
بين تقديم احد الحالين على الاخرى ولما لزم التعقيد ولا ضعف
التأليف من تقديم اى الحالين كان التعقيد اما معنوى او لفظى
والاول مرجعه الى المعانى الثوانى وبعد مناسبتها مع المعانى
الاول وقربها ولا كلام لنا فيه هنا لان مراد هؤلاء الاجلاء
ان فى الاية تعقيدا لفظيا وان لم يصرحوا به فالكلام فيه ومرجعه
الى الالفاظ فانه ينشأ من تقديم ما يلزم تأخيره وتأخير ما يلزم
تقديمه والفصل بين المتصلات من الالفاظ والاية الشريفة
سالمة من كل ذلك على تقدير عدم لزوم تقديم الحال الاولى
فاين التعقيد فيها واين ضعف التأليف .

وسابعا قولهم : ويلتحق بهذا من مذهبات البلاغة تعقيده
- اى القرآن - ما تقتضى الحال تأخيره وتأخير ما تقتضى الحال تقديمه
فمن الاول قوله فى سورة الفاتحة الرحمن الرحيم فان الكلام هنا
موجب فيجب تقديم ادنى الوصفين للترقى من الادنى الى الاعلى
ومن الثانى قوله فى سورة البقرة لا تأخذه سنة ولا نوم والمقتضى
نوم ولا سنة للتدلى من الاعلى الى الادنى .

هذا قولهم وليس لهم فيه الا الجرأة فى القول فان المفترين

نعرضوا لهذا الكلام لبيان نكتة تقديم الرحمن على الرحيم
والتنبه على النوم وتذكير هؤلاء الاغبياء الاجلاف بصورة
الايراد والاعتراض وكتموا ما ذكره ائمة المفسرين من وجه
تقديم هذين اللفظين وسره الذى خرج به وبامثاله هذا
الكلام عن طوق البشر، فما اجرأهم على الحقائق واصلتهم فى الجهل
والبلة ما ذكروه هم من بيان الزمخشرى فى الكشاف وهو
قوله: لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها و
اصولها اردفه الرحيم كالتتمة والترديف للتناول ما وقع
منها ولطف هذا ما تقلوه من كلام الكشاف بيد انهم لم
يعقلوه فقالوا ودفع الزمخشرى هذا الضعف بما هو اضعف
منه فقال - وتقلوا قوله - ثم قالوا: قلنا هذا الشمول
ثم بالرحيم الرحمن بلا مخالفة لمقتضى الطبع والعقل والبلاغة.
انتهى هذيانهم، وحيث تبين انهم لم يعقلوا كلام الكشاف وانى
لهم بالعقل وجب علينا ان نفصله بعبارة واضحة يصل معناها
الى اذهان امثال هؤلاء الاغبياء المعاندين فنقول:

البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولما كانت الاحوال
تختلف بكثرة فمقتضياتها تختلف باختلافها ولا تراعى فى ذلك

الجمل للفظيه نفسها بل براعى المقام التى تورد فيه تلك الجملة
فرب لفظة فى جملة واحدة يجب تقديمها فى مقام وتأخيرها
فى اخرى ولو قدمت فى مقام يقتضى التأخير وبالعكس لسقط الكلام
عن درجة الاعتبار ولم يعد بليغا مثال ذلك ان تقول فى
مقام اهتمام المخاطبين بجائزة ترد من السلطان لشخص وترقب
ورودها : اجاز السلطان فلانا . واذا كان المقام مقام
اظهار جلالة ذلك الشخص وعظم شأنه وجب العكس بان تقول :
السلطان اجاز فلانا . فهذا الكلام بعد بليغا ولو عكست
بان قلت فى المقام الاول السلطان اجاز فلانا وفى المقام
الثانى اجاز السلطان فلانا لم يعد هذا الكلام بليغا .

اذا عرفت ذلك ظهر لك انه لا يجوز الحكم على كلام بانه غير
بليغ بمجرد النظر اليه ما لم يراع المقام الذى ورد فيه
ذلك الكلام .

واذا اردنا فهم ما عليه الايمان الكريمتان من مراتب
البلاغة فلا بد ان نراعى المقام الذى وردتا فيه والسبب الذى
نزلتا من اجله ومن المعلوم ان المقام فى الاولى هو وصف
البارى تبارك وتعالى بصفات الجمال والكمال ومن اجله

تولك ، وفى الثانية تنزهه بتاولك اسمه عن صفات النقص
ولهذا السبب تولك ولا بد حينئذ من الاتيان واثبات اكمل
صفات الكمال ونفى ادنى صفات النقص فوجب تقديم اكمل
الصفات فى الاثبات وتقديم ادنى صفات النقص فى النفى
ولذلك قال: الرحمن الرحيم معتدما لصفة الرحمن اهتماما
بها ، ولا تأخذه سنة ولا نوم معتدما للسنة اهتماما بنفيها
لانها اذا انتفت فانتفاء النوم اولى

وبعد ان ذكر الرحمن وهى الصفة الخاصة الكاملة لانها
تتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفها بذكر الرحيم
دفعا لما ربما يتسرب الى الفهم من انه خصت الآلاء بعظائم
النعم واصولها دون صغار النعم ودقائقها - كما يعتقد ذلك
بعض الملحدين - فنبه بالرحيم على انه ما من نعمة الا وهى مندرجة
تحت ام دقت وانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، و
كذلك فى الاية الثانية فانه بعد نفى السنة وهى ادنى صفات
النقص المستلزمة لنفى النوم بالاولوية نفى النوم ايضا دفعا لما
ربما يتسرب الى الذهن من ان النوم يأخذه من دون مقدمة
السنة لتكون الاية اصرح فى نفى النقص وآكد .

وخلاصة القول ان المقام مقام اثبات صفات الكمال ونفي صفات النقص والحال يقتضي بتقديم اكمل صفات الكمال في الاثبات وادنى صفات النقص في النفي والصفتان الثابتان وردتا مدغما للوهم فهما للتوضيح والتاكيد ومن المعلوم ان المؤكد انما يذكر بعد ذكر اصل الوصف والوصف المقصود بالاصالة هو اثبات الرحمانيه ونفي حتى السنه يوجب تاخير الرحيم والا فانهما لم يقصدا بالاصالة بل تبعا لذكر الرحمن والسنة لدفع ما يتوهم من اثبات الاول ونفي الثاني وهذا المعنى هو المراد من كلام الكشاف الا ان هؤلاء الاغبياء من الغباوة بمثابة بعيدة عن مدركاتهم ادراك مثل كلام الكشاف . وفهم اسرار مثل الايتين الشريفتين .

وقد اتضح انه لو قدم الرحيم والتوم في الايتين لما بلغت من البلاغة المرتبة التي هي فيها الان ، وبهذا اتضح الخبط في قولهم ردا على الكشاف : هذا الشمول ثم بالرحيم الرحمن بلا مخالفة لمقتضى الطبع والعقل والبلاغة ، لانك قد علمت انه لو قال الرحيم الرحمن في هذا المقام لخالف البلاغة .

ولكنا لا ندري ما الذي اوجب لهم ان يذكروا الطبع والعقل

هنا ولا داعي له الا ولع المتفقين بكلمات الجودان لم يكن لها ذكر في مناسبة ما

وثامنًا قولهم: واما النكرار فناشئ في القرآن نبوذًا.

قالوا هذا القول ليبينوا ان النكرار مخل بالبلاغة.

وقد بينا ان محققي علماء البلاغة انكروا ذلك اشد الانكار وقالوا ان النكرار لفائدة وحكمة تما بتجديد الكلام بلاغة وبلاغة واكبرانه على ذلك انقيادهم الى القرآن واعترافهم بالعجز عن مباراته وخروجه عن طوق البشر ولم يروا النكرار مانعًا من ذلك لانك قد علمت ان البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فاذا كانت الحال مقتضية للنكرار اما للتاكيد او تعظيم نعمة او تحذير من نقمة او هويل او تهديد او غير ذلك من الاغراض التي ينوخاها البلغاء في محاوراتهم - اذا كانت الحال مقتضية لذلك وجب النكرار وكان الاخلال به مخالفًا للبلاغة، وليس هذا الامر مختصًا باللغة العربية بل هو عام لكل اللغات فان نكرار بعض الالفاظ يؤتى به لتجديد الكلام وتزيينه وتحسينه ومنه ما تسميه - نحن الفرس - بالاستزاد وهو تكرير جملة معينة في كل بيت من ابيات القصيدة وما اكثره في الشعر الفارسي، واذا نظرت اللغات الاجنبية

كلها وجدت التكرار فى كلها مستظرفا بديعا مقبولا مطبوعا عند اهل تلك اللغة ، واللغة العربية لم تخالف سائر اللغات فى ذلك ، حتى ان علماء البديع فى اللغة العربية وعلماء البلاغة عقدوا فصولا للتكرار ذكروه فيها من محسنات الكلام ومن موجبات البلاغة والبديعيات التى نظمها الادباء جميعا ذكرت التكرار فى انواع البديع . قال صفى الدين الحلى فى بديعيته .

والطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم
ابن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

وفى بديعية ابن حجة قوله :

تكرير مدحى صدى فى الشامل
النعم ابن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وفى بديعية ابن حجة قوله :

تكرير مدحى حلا فى الشامل الكرم ابن الشامل الكرم ابن الشامل الكرم

وفى بديعية المقرى قوله :

المفرد العلم ابن المفرد العلم ابن المفرد العلم ابن المفرد العلم

وفى بديعية التيوطى قوله :

كرر احاديث مدح السابغ النعم

ابن السابغ النعم ابن السابغ النعم

وفي بديعية العلوي قوله :

السيد العلم ابن السيد العلم ابن السيد العلم ابن السيد العلم

وفي بديعية الطرابلسي قوله :

كرر احاديث نشر الناشر العلم

ابن الناشر العلم ابن الناشر العلم

وفي بديعية السيد علي خان قوله :

تكرار قولي حلا في الباذخ العلم

ابن الباذخ العلم ابن الباذخ العلم

هذا ما في البديعيات وقد اشتملت كتب البديع والمعاني على ذكر التكرار واقسامه وغاياته واغراضه وحكم البلغاء بان الحال قد تقتضيه فيكون الاخلال به اخلالا بالبلاغة، ولذلك كثر في كلام الفصحاء والبلغاء في الجاهلية والاسلام نظما ونثرا .

ولقد اعجب البلغاء والفصحاء كتاب ابرهيم ابن العباس الصولي الى بعض الخوارج لما خرج على الخليفة : اما بعد فان

لامير المؤمنين اناه فان لم تفن عقب بعدها وعبدا فان لم تفن اغنت عزائمه والسلام . وجرى هذا الكتاب مجرى المثل بين البلغاء وقالوا انه احسن كتاب فى بابه مع ما اشتمل عليه من النكراء وقالوا ان هذا الكتاب يحسن انسجامه وبلاغته يكاد ان يكون شعرا وان لم يقصده صاحبه فاستخرج منه هذا البيت .

اناه فان لم تفن عقب بعدها وعبدا فان لم تفن اغنت عزائمه

فلم يروا النكراء مانعا عن بلاغة هذا الكتاب واعجابهم به ولقد فضل بعض المكرهين فى نكراهم على جميع البلغاء فقد تحاكمت الخنساء وحسان عند النابغة فى سوق عكاظ فانشدته الخنساء فى رثاء صخر

وان صخرا لمولانا وسيدنا وان صخرا اذا نشتو لنحاد
وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم فى راسه نار

فقال النابغة لولا ان ابا بصير الاعشى انشدنى لقلت انك اشعر امدا الارض حكم لبعض المكرهين فى الكلام انهم اشعر الناس . فان عبيد الله بن طاهر كان يوما عند المامون فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر فى خلافه

بني هاشم قال : امير المؤمنين اعرف به مني ، قال : على كل حال ، قال عبد الله : اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

ابا فبر معن كنت اول حفرة ... من الارض خطت للسماحة مضجعا

ابا فبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد سعت الجود والحود بعده ... ولو كان حيا كان اضيق موضعا

فحكم له بانه اشعر من قال الشعر في عصره مع انه كرر ابا فبر معن مرتين في بيتين منفصلين وكرر لفظ الجود في بيت واحد مرتين ولم يكن تكراره مقتصرا على ذلك في هذه القصيدة فانه يقول منها .

الما على معن فقولا لقبره

سقتك لغوادي مربعا ثم مربعا

ولما مضى معن مضى الجود واقتضى

واصبح عرنين المكارم اجدعا

فكم كرر لفظ قبر ولفظ معن مع انه اشعر الناس وهو الحسين بن مطير الذائع الصيت

ولبلغاء العرب الذين حكم لهم بالسبق في ميدان البلاغة من التكرار الكثير ما فان كلامهم وديجه : فقد انشد الفراء :

وكاين وكم عندى لهم من صنيعة

اياد ى تثوها على واوجبوا

وانشد ايضًا :

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

وقال آخر :

نعق الغراب ببين لبنى غدوة كم كم وكم لفراق لبنى ينعق

وقال آخر :

طلبت لنفسى بعض الامور فاولى لنفسى اولى لها

وقال آخر :

الا ياصبى نجد متى هجت من نجد

لقد زادنى مسراك وجدًا على وجد

الى ان قال :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع

اذا كان من تهواه ليس بذى ود

كرر لفظ نجد ووجد وعلى ان قرب الدار مع انه من افصح العرب

وابلغهم وقال كثير غزة :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما كنت ادري قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

فوالله ثم الله ما احل قبلها ... ولا بعدها ما خلوت فحيث حلت

فانظر الى النكرة فيه ولقد كرر في هذه القصيدة لفظ عزة مرادًا وقال آخر :

لقد علم الحي اليمانون انني ... اذا قلت اما بعد اني خطيبها

وقال آخر :

وجهات وجهات العقيق وامله ... وجهات خل بالعقيق نواصله

وقال ابو تمام :

بالصبح الصبح والاوجع الآ ... وجع منهم وبالتباب التباب

وقال آخر :

سقى الله نجدًا والسلام على نجد ... وياحبذا نجد على القرب والبعد

نظرت الى نجد وبغداد دونه ... لعلي اري نجدًا وجهات من نجد

وقال المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ... ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وقال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبًا :

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا الطرف البهيم من الجرود

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما ضيم جيران المجير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا رجفا لعضاه من الدبور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خرجت مجنأة الخدور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما اعلنت نجوى الامور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خيف المخوف من الثغور

على ان ليس عدلا من كليب ... غداة فلا فل الامر الكبير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما خاض جاد المستجير

فانظر الى هذا النكرة وما املحه واظرفه على كثرته .

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير :

لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت

صدور العوالي واستشال الاسافل

ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن

لتسبق يومًا كنت فيه تحاول

ونعم الفتى يا توب كنت تخافت

اتاك لكي يحمى ونعم الحامل

ونعم الفتى يا ثوب جارًا وصاحبًا
ونعم الفتى يا ثوب حين تناضل
لعمري لأنت المرء أبكى لفقده
بمجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لأنت المرء أبكى لفقده
ولو لام فيه ناقص الرأى جاهل
لعمري لأنت المرء أبكى لفقده
اذا كرهت بالملحمين السلاسل
ابى لك ذم الناس يا ثوب كلما
ذكرت أمورًا محكمات كواهل
ابى لك ذم الناس يا ثوب كلما
ذكرت سماحًا حين تأوى الأرامل
فلا بعدنك الله يا ثوب انها
لتبكيك حمام الموت والموت عاجل
ولا بعدنك الله يا ثوب انما
كذاك المنايا غاجلات وآجل
ولا بعدنك الله يا ثوب انك عليك الفؤادى المدجنات الهواطل

وقد امتازت هذه القصيدة في ثبابها عن كثير من قصائد العرب مع انها خرجت من تكرار الى تكرار لاغراض بينه وحكم واضحه .

وقال الحرث بن عباد في حرب بكر وتغلب :

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني قربا بها وقربا سربالي

وكرر قوله قربا مربط النعامة مني في اكثر ابيات هذه القصيدة وهي بعد من اوليات القصائد في البلاغة مع ما فيها من التكرار الكثير ، ولما افترقت بكر وظهرت عليها تغلب وقفت بكر بثنان نضاحا ببكر :

وغى وغى وغى وغى خوالحرار والثكلى

فرجعت بكر وتغلبت على تغلب وجرى هذا البيت لملاءمته وبلاغته مجرى المثل عند العرب مع انه كان تكرارا محضا .

وقالت ليانة بنت ربطه تزني الامين وكان عقد عليها وقتل قبل ان يبني بها :

ابكيك لا للنعم والانس بل للمعالي والرمح والفرس
ابكي على ستبد فجعت به اوملني قبل ليلة العرس

يا فارسًا بالعراء مطرحًا خانته فؤاده مع الحرس
من الحروب التي تكون بها ان اضرمت نارها بلا قبس
من للبهاليل اذا هموا سغبوا وكل غان وكل مختبس
ام من لبرام من لفائدة ام من لذكوا لاله في الغلس

وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير ترثي زوجها .

وحدثني اصحابه ان مالكا اقام وناديء صحبه برحيل
وحدثني اصحابه ان مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثني اصحابه ان مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل
وحدثني اصحابه ان مالكا خفيف على الحالات غير ثقيل
وحدثني اصحابه ان مالكا صروم كما ضمى الشعر بن صقيل

وقالت امرته عبيد الله ترثي ولد بها المهاجم بسر بن ارطاة من قبل معاوية على اليمن وكان عبيد الله والهما من قبل علي وترك ولديه فلما صعد بسر الدار وجد الصبيين فاخذ عليهما بسيفه وذبحهما بين يدي امهما فهامت على وجهها حزنا في البيداء وكانت تأتي الموسم تنشدهما وتقول :

يا من احس بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من احس بابني اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

يا من احسن يا بنى الدنيا مما قلبى و سمعى فقلبى اليوم مختطف
من دل والهه حيرى مدلهه على صبيبين ذلا اذ غدى السلف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا من افكهم ومن القول الذى اقترفوا
انحى على ودجى ابنى مرهفه مشحوذه وكذاك الاثم يقترف

وقد غنت الركبان هذه الابيات لبلاغتها مع ما اشتملت عليه من التكرار .

وقالت الخنساء ترثى صخرا .

اعينى جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجرى الجميل الا تبكيان الفتى السيدا

الى ان قالت

اذا ذكرا المجد لفيه ثم اوزر بالمجد ثم اوندى

وكررت ذكر المجد فى هذه القصيدة مرارا مع انها من ابلغ شعر العرب وقال جميل بثينه :

الا طال كمثانى بثينه حاجه من الحاج ما تندى بثينه ما هيا

وقال :

اذا هبت الارواح من كل جانب بدا لى ما هاج قلبى هبوبها
هوى تذرفا العينان منه وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقال الفرزدق يمدح علي بن الحسين عليهما السلام

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

وقال المخبل السعدي :

باهند هل من نائل باهند للغاني الأسير

منه نبذة يسيرة من اشعار بلغاء العرب وفصحائهم كما فيها النكرة تفيد المفرد والمركب والجمل وعلى ذلك جرى ويجري العرب في محاوراتهم فلم يعدوا هذا النمط من سبك الكلام مخلا بالبلاغة بل جعلوه مما يزيد الكلام حسنا ويعطيه رونقا وبهجة . وبعد ان طوت اللغة العربية الوف المراحل على هذا النمط جاء فريق في اخر الزمن بعد ان مدت اللغة ولم يبق لك من اسرارها الا القليل فاخذوا يمدون يد المعارضة للغة وينطاولون الى واضعها والعرب الذين تكلموا بها زاعمين ان الجميع مخطئون وان النكرة تخل بالبلاغة خلاف ما عليه البلغاء فان اراد هؤلاء الحمقاء ان العرب حكموا بان النكرة تخل بالبلاغة

فليس كذلك كما علمت . وان ارادوا وضع لغة جديدة على ما تشتهيه انفسهم فلا مشاحة لنا فى ذلك - ونحن لا نعارض لغة الاسپرانتو فى مصطلحاتها ومناهجها - ولكن كلامنا ليس فيها فانا نتكلم فى بلاغة القرآن الذى نزل طبق اللغة العربية دون اللغة المخلقة .

واذ قد عرفت حسن التكرار ووجوبه فى بعض الاحوال وجب ان نعلم ان التكرار بجميع انواعه لا بد ان يكون لغاية والا كان عبثا مخالفا لطريق العقلاء فى محاوراتهم المبنية على الاسرار والحكم ، وحينئذ ينبغى ان نذكر حكمة التكرار فيما ورد منه فى القرآن الا ان ذلك يستوعب المجلدات الضخمة ونحن بصدد من كشف النقاب عن هذا بان هؤلاء الموهمين فالاولى ان نقتصر على ما ذكرناه وهو موردان ، الاول تكرار لفظ الناس فى سورة الناس الثانى تكرار قوله تعالى فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فى سورة الرحمن . والموردان من اعلى مراتب البلاغة فيهما من الاسرار ما يبهر الانسان ومن الحكم ما يحير الالباب ولكن هؤلاء القوم عموا وصموا فهم لا يفقهون .

اما المورد الاول فقد جاء لفظ الناس مكررا فى هذه

السورة خمس مرات وهو قوله تعالى :

(قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) .

وذلك لاستاد عظمته وحكم بالغته ، فان هذه السورة الشريفة نزلت لتعليم العباد على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) طريقة التحرز من المضار التي تعرض للنفوس البشرية بسبب التشكيك والوسوسة بحيث يحترز منها الانسان دون ان يتسبب للتحرز والتحذر عنها تشكيك ووسوسة لانه يكون حينئذ كراكل ما فرمنه ، فاقتضى شدة هول الشر المستعاذ منه ليسوغ المستعيذ الى التحرز منه ، وتعظيم شأن المستعاذ وبيان قدرته على الاعاذة ليطمئن اليه المستعيذ ولا يبقى في حول الشر المستعاذ منه راهبا جازعا ، وبيان الرابطة بين المستعيذ والمستعاذ به ليكون الثاني حقيقا باعاذة الاول فتركن اليه نفسه وتخرج من الاضطراب ، وبيان جلالة قدر المستعيذ وخطورة شأنه لتثبت اهليته للتحرز من الشرور وتقتضي تشوفا له الى التحرز عن ذلك ، وفائدة التذليل والرهاب

على ذلك كله لتقرن الدعوى بالدليل .

وكل هذه الاسرار العظيمة قد جمعت في هذا النظم العجيب مع قصر جمله وقلة الفاظه ، فان المأمور بالاستعاذة هو النبي صلى الله عليه وآله تعليما للناس ان يستعيذوا من شر الوسواس - بفتح الواو وكسرها اسم مصدر او مصدر والمراد به الموسوس كالزلزال بمعنى المزلزل - والوسواس هو صدور الناس فهم المجدرون بالاستعاذة والتحرز منه وهو من جهة الجنة والناس - اذا كان الظرف متعلقا بيوسوس - او هو من الجنة والناس - اذا كان الظرف بيانا للوسواس - فلا يكاد يسلم منه احد ولذلك يجدر الاهتمام بالتحرز منه وانما يتوسل في التحرز منه برب الناس وخالقهم وملك امورهم ومصرفها والهمهم المسخي لعبادتهم وما يتوسل من اجله بهذه صفته لا بد ان يكون خطيرا لا ندا جنيح في التخلص منه الى ذي القدرة الازلية والوحدة الصمدية ، لكن لا يجب ان يضطرب الانسان من هذا الشر بسبب شدة هوله لان المتوسل به للخلاص من ذلك هو رب الناس وملكهم بيده جميع امورهم قادر على ان يثبت ما شاء منها

وبنى ما شاء وهو المستحق للعبادة اذ لا تعلق للانسان بربه
فلما كان بين الانسان وبينه هذه العلاقة وجد المقتضى
لرفع الشر عنه لانه قادر على ذلك والانسان عبد المتوسل
به المتطلع اليه ، وهذه العلاقة هي التي تثبت شرف الانسان
ورفعته التي تؤهله للتجنب عن ذلك الشر ، و
هذه الصفات الثلاث وردت كل منها كصفة مستقلة
لا دخل لها بالاخرى فنزل تعداد الصفات منزلة تعدد الذات
فكان المتوسل بهم عدد بدون قامت كل صفة تنزيلا لمقام
متوسل به قادر على الاعاذة ودفع الشر ولذلك اضيفت
كل منها الى الناس ولم تضف الى الضمير ولو اضيفت له لما
كانت لها هذه المزية من التنزيل وهذا هو سر الفصل بين
الصفات وعدم وصل بعضها ببعض بالواو وفي تكرار لفظ
الناس مضافا اليه هذه الصفات تنبيه على شرف الانسان
واهليته لتجنب ذلك الشر ، وفي هذا التعداد اشارة الى
التدرج في التوصل الى الدليل على عظم المستعاذ به المسئول
لهول المستعاذ منه فان الانسان اذا فكر في نعم الله تعالى
عرف ان له ربا قادرا فاذا تو غل في الفكرة توصل الى ان ذلك الرب

المصرف لها فيستدل من ذلك على انه هو الاله المستحق للعبادة برهان لا مجرد دعوى .

هذا شئ مما توصل اليه الفهم من سر التكرار في هذه السورة الشريفة ولا شك ان هذه المعاني المتعددة والاغراض المختلفة لا يمتنع جمعها في هذه العبارة الوجيزة الا لرب الارباب خالق الكلام معلم الحكمة والبيان .

وهذه الاغراض التي امتاز بها كلام الله عن كلام البشر هي التي اعابها هؤلاء الاغبياء فما اشد غباوتهم وانكى من الفهم حظهم .

واما المورد الثاني وهو تكرار جملة فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان السر والحكمة فيه اوضح من ان تخفى على غافل لان السورة قد عددت آلاء الله ونعمه التي يستدل بها على المبدء والمعاد ويمكن ان تكون اساس الايمان وكلما ذكر الله نعمة فرضها وحذر من الجحود بها بقوله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لئلا يغفل السامع عند تعداد النعم عنها فيتطرق اليه الجحود وهذا من مستظرف الكلام وبديعه وهو شايع في عرف العرب حتى اليوم . الا ترى انك تعد من البديع الكلام

ان تقول لغلام عصاك : الم احسن اليك بان ربيتك ،
الم احسن اليك بان كسوتك ، الم احسن اليك بان اشبعتك ،
الم احسن اليك بان اكرمت خاتلتك ، وهكذا تكرر عليه
النعم التي انعمت بها عليه وتقول مقدمة لكل نعمة الم احسن
اليك فانك تستحسن تكريرها ولو بلغت الف مرة ، وقد
اسلفنا من ملح شعر العرب وبليغه ما اتى ظرف فيه التكرار
وعد من محسنات الكلام ، والعرب هم المرجع في ذلك فلا
مجال لهذيان هؤلاء الاغبياء المعاندين .

وتاسعا قولهم : ان في القرآن لحنا كثيرا وضعف لغة
وتركيب هذا قولهم وهو مما يقضي الى العجب فان اهل اللغة
العربية يعترفون بعلو منزلة القرآن في الفصاحة وبرفعة درجته
في البلاغة حتى افردوا انه خارج عن طوق البشر وهم اهل اللسان
وهؤلاء الاجانب عنه يقولون ان فيه لحنا كثيرا وضعف
لغة وتركيب ، عرفنا معنى اللحن وضعف التركيب فما معنى الضعف
في اللغة ايضا هي كلمة لا معنى لها ؟ لكن هؤلاء الخائبين
لشدة حرصهم على الطعن اخترعوا الفاظا مهملة .

يقولون ان في القرآن لحنا وضعف تركيب فما هي حجتهم

فى ذلك ؛ استندوا الى قراءة النصب فى الصابرين من قوله تعالى فى سورة البقرة : وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ ، وفى حمالة الحطب من قوله تعالى فى سورة تبت : وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، والى قراءة الرفع فى وَالصَّابِئُونَ من قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ. الى هذه القراءات استندوا وقالوا ان الصواب رفع الصابرين وحمالة الحطب ونصب الصابئين .

وهذه الدعوى فى غاية البطلان والفساد مبنية على التمويه المحض ، فان جميع المفسرين ذكروا هذه القراءة فى الآيات الثلاث وذكروا اعرابها على ما توافقه القواعد العربية فقالوا ان نصب الصابرين على المدح وهو شايع فى التوابع ، ونصب حمالة على الذم وهو كذلك شايع فى اللغة العربية ورفع الصابئون على العطف على محل اسم ان لانه مبتدأ فى الاصل ومحله الرفع . هذا ما ذكره النحاة والمفسرون طبق ما استنبطوه من محاورات العرب ، لكن هؤلاء المموهين لما كانت دعاويهم مبنية على التمويه ذكروا ذلك على سبيل الاعتراض على القرآن وحين تعرضوا لاعرابه على ما ذكره النحاة

والمفسرون قالوا: ان هذا من مخترعاتهم
مع ان لغة العرب مشحونة بذلك وكل النحاة قد ذكروا ذلك
بحيث لم يشذ منهم احد.
وقد ورد في شعر العرب ونثرهم
قال الخوئي ابنه بدر بن هفان

لا يبعدن قومي الذين همو سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

فنصبت لنازلين مع انها صفة قوم او جرتها في لهم وعلى كل
حال فمراعاة اللفظ تقتضي رفعه ولكنها نصبته على المدح
وانشد القراء قول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم

نصب ذا على المدح مع انها معطوفة على المجرور
وانشد القراء عن احد العرب قوله:

فلهت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين
غيوم الحيا في كل محل وكريهة اسود الشرى يحمين كل عرين

نصب غيوم على المدح ورفع اسود على القطع مع انهما تابعان

للمجرور وليس النصب على المدح والذم مقصورا على التوابع
فقد انشد لاحد العرب قوله :

سقونى الخمر ثم تكنفونى عداة الله من كذب وزور

بنصب عداة على الذم مع انها ليست من التوابع .

وليت شعرى اذا لم يعتمد هؤلاء على نقل النحاة وكلام
العرب فعلى من يستندون فى ضبط قواعد اللغة العربية ؟
وبماذا علموا ان ما ذكره النحاة كان من نحو عامهم ولم ينبشوا
الا فى زمان فساد اللغة ؟ هل دعاهم الى ذلك الا الجهل
والتعصب ؟

ومع غض النظر عن ذلك كله فان هذا غير وارد على
القرآن نفسه بل على القراء ولا دخل له بالقرآن ، فان القرآن
نزل نجوما فى اوقات شتى وبقى متفرقا عند المسلمين وبعد
وفاة النبى صلى الله عليه واله جمع والف واخذ العرب
بقرائته ولم تكن القرآات الا تابعة لسلائق العرب وطباعهم
فقرء بقرآات تختلفه وكلها موافقة للغة العربية فلو فرضنا
ان بعض القراء قرأ على خلاف القواعد العربية وكانت
تلك القواعد هى المرجع فى صحة اللغة لا سلائق العرب فليس
اللوم متوجها على القرآن بل على ذلك القارء الذى فرض انه خالف

القواعد ، ولا وجه للاخذ بقرائته والاعتراض بها على القرآن وطرح قرائة الباقين ، ومن هنا نعرف مبلغ نصب هؤلاء المعاندين وبعدهم عن الانصاف فانهم ذكروا قرائة الرفع في الضابرين وتمالة الحطب ولم يجعلوا ذلك دافعا للاعتراض على القرآن .

على ان الانصاف والحق يقضيان بالحكم للقارء بالصحة في مورد تخالف قرائته القواعد وللقواعد بالخطأ فان القراء كلهم من العرب المسلم بفصاحتهم فقرائتهم هي المرجع والميزان للقواعد وليست القواعد مرجعا لها لما بينا من ان قواعد اللغة العربية تما استنبط من محاورات اللغويين فلا معنى لتخطئة اللغويين بحجة ان محاوراتهم مخالفة للقواعد .

ولذلك قال ابن الجزري : كم من قرائة انكروها بعض اهل النحو وكبر منهم ولم يعتبر انكارهم كاسكان باء كم وبأمركم وخفض والارحام ونصب ليجزي قوما والفصل بين المضافين في قتل اولادهم شركائهم وغير ذلك انتهى

وانما لم يعتبر انكار النحاة لان القراء من فصحاء العرب فهم المرجع في اللغة لا النحاة الذين بنوا علمهم على قواعد محصورة

لا يسلم العرب بها على وجه العموم .

وقد بلغ من تعصب هؤلاء الجهلاء وعنادهم انهم نقلوا كلام ابن الجوزي الذي نقلناه وجعلوه طعنا على القرآن نفسه ان كثيرا من النحويين انكروا بعض قراءته .

وخلاصة القول انه لا يمكن الاعتراض على القرآن بانه مخالف لقواعد اللغة العربية لان الحكم في مقام تعارضه مع القواعد هو الاخذ به وطرحها لان المتكلم به عربي وقد صح عن جميع العرب وهو المرجع في فهم صحة اللغة لا القواعد ، على ان ما ذكروه من القراءات موافق للقواعد العربية كما نص عليه النحويون ولو كان مخالفا لها فالوجه هو الاخذ بقراءة القراء لانهم عرب فصحاء ، ولو فرضنا خطاءهم فلا وجه للاعتراض على القرآن بل عليهم لان القراءة لم يعلم انها هي القراءة التي نزل بها القرآن حيث قد تعددت القراءات فالاخذ ببعضها وانكار الاخر ظلم واجحاف بعيد عن الانصاف لا ينتصب له الا التعصب والعناد والجهل . اعاذنا الله من ذلك كله .

وناسعا فلم : ومن نافيات البلاغة من القرآن واعجازه عن الاعجاز كثرة الحشو ومن ذلك ما في الفاتحة . ثم استشهد

بأقوال بعض المسلمين انها مجموعة العلوم وان كل ما فيها مجموع
في البسملة وكل ما في البسملة مجموع في نقطة الباء ، وقالوا
ان البسملة مشكوك في انها - كذا - من القرآن وهذا الكلام
خارج عن الموضوع لانهم بصدد الاعتراض على القرآن
فما معنى التعرض لكلام بعض المسلمين وما ربطه بالقرآن
وما وجه تحميله اياه ؟ هب ان بعض المسلمين قال ما قال
خطاء اوصوابا فاى ربط للقرآن به على ان قول ذلك البعض
ليس قولا لجميع المسلمين فما وجه الافتراء بنسبة ذلك الى جميع
المسلمين ، ومن قاله انما ذكره على سبيل للغز والاشارة
الى ان توحيد الله تعالى وتقديسه بصفات الكمال والاستغاثة
به وعبادته واللجاء اليه في الهداية الى طريق الحق والنجاة
عن طريق الباطل وهو ما اشتملت عليه الفاتحة - ان ذلك
احسن ما يستفيد الانسان في حياته وهو اصل كل علم وكل
ذلك مجموع في توحيده تعالى ووصفه بصفات الكمال وهو
ما اشتملت عليه البسملة واصل كل ذلك هو امر واحد وهو
الانقطاع الى الله تعالى واشار اليه بنقطة الباء ، وهذا الكلام
اشبه بكلام الصوفية والباطنية المستبق على الالغاز والمعميات واستخدام

الحروف والنقط فى ما يقصدونه من الكلام ، فلا دخل له فى القرآن حقًا كان كلامهم او باطلًا ان كان حقًا فلهم فائدته وان كان باطلًا فعليهم تبعته والقرآن فى معزل عن ذلك كله ، ومن الغريب قولهم ان البسملة مشكوك فى انها من القرآن ، و ليس الغريب الغلط باستعمال فى هنا اذ الصواب مشكوك انها من القرآن لان هذا انتقاد لفظى نجنبنا عنه فى رسالتنا هذه ، وانما الغريب حكمهم بان البسملة مشكوك انها من القرآن ناسبين هذا الشك الى المسلمين مع انه لم يشك احد فى ذلك اذ ان المسلمين مجمعون على ان البسملة جزء من الفاتحة وانما التردد فى انها هل هى جزء من سائر السور كما هى جزء من الفاتحة اولا وهذا التردد هو الذى اوقع هؤلاء الاغبياء فى الضلالة و الخطاء فحسبوا ان التردد واقع فى كونها جزء من القرآن وهو امر لا تردد فيه بين المسلمين ، وعلى كل حال فان ذلك كله خارج عن موضوع هذه الرسالة فلنضرب عنه صفحًا ونذكر ما وجوه حشوًا .

ونذكر هنا ان ما بعد الشرط المستقبل حشو يحسن حذفه وهو منافٍ للبلاغة .

هذا قولهم وما اجرامهم فى البهتان والتزوير بل ما أولعهم فى الجهل والتعصب والعناد ، فان الحشو غير مخل بالبلاغة بل هو تمام يبدو الكلام حسنا ويعلى درجته فى البلاغة ومنه ما يسميه البلغاء بحشو اللوذعى تشبيها للكلام بالخبز واللحشو مما اشتمل عليه من المطايب ، وقد مثلوا للحشو المستظرف والمستملح بقوله :

وبحفر الدنيا احفار ومجرب
يرى كل ما فيها وحاشاه غائبا

وبقوله :

قل لابى القاسم ان جئته منيت فيما نلت من منيته
كل جمال فائق رائق انت (برغم البدر) او شيته

وقالوا ان حاشاه فى البيت الاول وبرغم البدر فى البيتين الاخيرين قد زادت الابيات رقة ومنزلة مع انهما من الحشو ومثلوا للحشو المستملح بامثلة كثيرة من اشعار البلغاء والفصحا بطول بذكرها المقام . وكان صاحب بن عباد حين يبلى عليه قول من اجاب المأمون لما سئله عن بعض حاجته : لا وابد الله الامير يقول : هذا واد اشهى من واوات الاصداغ فى خدود المرد

البلاغ . مع انها من الحشو.

وقد قسم البديعيون الحشو الى اقسام عديدة مستهجنة مستظرفة . وذكروا ان الحال قد تقتضي الحشو فيكون الاخلال به اخلالا بمقتضى الحال وهنا في ذلك البلاغة .

هذا ما يقوله ائمة البلاغة وفصحاء العرب فكيف يحكمون ان الحشو من نابات - ما افبحها لفظة هنا - البلاغة، واني اية ادل على ان هذا لا ينبغي في البلاغة من حكم العرب لانه في درجة من البلاغة يجب لا نصل اليها ايدي الشر

هذا لو سلمنا ان ما بعد الصراط المستقيم حشو لكنه ليس كذلك فان القرآن انما نزل للدعوة الى توحيد الله و تنزيهه وللحث على فعل الخير والتحذير من الشر فلما قال : اهدنا الصراط المستقيم اقتضى ان يبينها تشويقا اليها فقال صراط الذين انعمت عليهم ليعرف العباد ان نهج الحق هو نهج من انعم الله عليه فيتسابقوا الى سلوكه ولما شوق اليه حذر من طريق الباطل والضلال فقال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فبينا ان طريق الباطل هو طريق من غضب الله عليه وضل عن الجادة المستقيمة الواضحة السهلة ليحذرها

العباد ويجنبوها وفوق ذلك اشتمل هذا التوضيح على الاشعار بمجاري الامور وتضاريفها بيد العليم القدير، من انعم عليه هُدى ومن غضب عليه ضل، فهذه الآيات كلها اساس لا حشو فيه مبتن على حكم وفوائد ضل عنها من حرم التلذذ بما اكلام الله والاستضاءة بنوره .

ومن المضحك قولهم هنا : لو قال - اي صاحب القرآن - الحمد للرحمن رب الاكوان الملك الديان لك العبادة وبك المستعان اهدنا صراط الايمان ، لأوجز وجمع كل المعنى و تخلص من ضعف التأليف والحشو والخروج عن الروي كما بين الرحيم ونستعين . انتهى هذيانهم .

ويجب ان نذكر شيئا موجزا من مزايا سورة الفاتحة وبعض ما اشتملت عليه من الحكم ودقائق الاسرار - لان ذكر كل مافيها ربما لا تسعه افهام كثير من الناس وذكرها يصد اليه الفهم ويستوعب مجلدا ضخما ويستدعي تطويلا لا يليق بهذا الموخر ثم نعقبه بذكر ما عارضوا به الفاتحة وما فيه من الهذيان . فاما بعض ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من الاسرار وفهوانها بيات بالاستعانة باسم الله ولم نذكر الاستعانة بالله

تعظيما لشأنه ثم اضافت الاسم الى اللفظ الدال على الذات
تخصيصا للاسم به وتبركا بذكره ثم عقبته بالصفة الخاصة وهي
الرحمن تجليلا لذاته وعقبتها بالصفة العامة وهي الرحيم
دفعا لوهم عدم شمول رحمته للعباد بصغائر الغم ، وفي هذين
الوصفين حث للمبشر على التمسك به والاخلاص اليه لينالوا
من رحمته الواسعة وحسن ترتيب بتقديم الاسم الخاص ثم
الصفة الخاصة التي هي ابلغ في التجليل والتبجيل ثم الصفة
العامة التي وردت موردا التاكيد ودفع الاحتمال وانقطاع
الى الله بالابتداء بالاستعانة باسمه وتعظيم له حيث استعين
باسمه دون ذاته . ثم ذكرت الحمد وخصته بالله لمكان ال
في المسند اليه ثم ذكرت الصفة الاولى والثانية والثالثة
والرابعة وهي رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
تبيانا للاسباب التي تستحق بها الذات الحمد وترتيب الصفات
على ذلك النسق البديع فقدمت الصفة الاولى لبيان ان
المحمود هو رب جميع المخلوقين ثم الثانية والثالثة لبيان ان رب
المخلوقين رحمانهم ورحيمهم فمنه الرحمة بهم وعليهم الاخلاص
والمحبة لخالقهم ثم الرابعة لبيان ان ذلك المحمود

هو المالك ليوم الدين اى يوم القيمة والجزاء فاليه مصير خلقه
وهو مالك جميع امورهم كما كان منه مبدءهم لا نه ربهم فلا
محيص لخلقه عن امره فى المبدء والمنتهى وبعد ذكر هذه الصفات
الموجبة للحمد صارت دليلا على استحقاقه العبادة واختصاصها
به فقدم الضمير فى اياك نعبد دلالة على اختصاص العبادة
به ولما جمع هذه الصفات واختصت العبادة به لم يكن لخلقه
مستعانا غيره فخصت الاستعانة به وقدم الضمير فى اياك نستعين
دليلا على الاختصاص ولما كان ذكر العبادة والاستعانة
بعد تلك الصفات فكأن تلك الصفات جعلت ذلك المحمود
مشاهدا فنقل الكلام من الغيبة الى الحضور التفاتا للدلالة
على ان الفكرة فى تلك الصفات تقرب العبد الى خالقه
وتجعله كانه مشاهد ، وبعد ان ذكرت اختصاص الاستعانة
بالله الذى ذكرت ما لكبته لمبدء الانسان ومنتهاه وقدرته
عليها ناسبان يطلب العبد سعادته من خالقه المحمود فجائت
بطلبها لهدايته الى الصراط المستقيم مشوقة اليها باتها صراط من
انعم الله عليه محذوة من خلافها باتها سبيل من غضب الله
عليه وضل ،

هذا شئ من دقائق ما اشتملت عليه الفاتحة مما لا يحيط
علما جمعه وتنسيقه في هذه الجمل الوجيزة الاخالق السموات
والارض . فانظر هل في ما ذكرته على سبيل المعارضة من
مزية ،

فقد تلك الجملة التي ذكرت ما جمع ما في البسملة من المزايا
والفوائد ولم تذكر لفظ الجلالة فخرمت فائدتين واسقطت التفرج
بالصفة التي تشير الى انه مبدء وجود العباد فاهملت الرابطة
بينه وبينهم بكونه مبدء وجودهم الذي يوجب تعلقهم به و
اخلاصهم له ، واهملت الرحيم فتركت مجالا لاحتمال انه ليس بمبدء
لصفاء النعم ، ولم تصرح بان المعاد والمرجع اليه لعدم ذكرها
مالكيته يوم الدين ، ولم تذكر اخلاص الناطق له بالعبادة
واستعانته المتكلم به نفسه فانها قالت لك العبادة وبك المستعان
على وجه الاطلاق وحرمت فائدة الاختصاص فان تلك الجملة
لا تدل على اختصاص العبادة والاستعانة به كما يدل عليه
تقديم المفعول في اياك نعبد واياك نستعين وهذا امر ذكره
البيانيون وفرقوا بين تقديم المفعول وتقديم الخبر سيما اذا
كان ظرفا فان الاول صريح في الحصر والاختصاص بخلاف الثاني

على ان القياس وانت المستعان دون ولك
المستعان كما موبين من تصريحات اللغويين ، واما على الوجه
المصحح للالتفات في الضمير فان الوجه في الفاتحة انما كان
ذكر الصفات العظام المشتملة على المبدء والمعاد والرحمة
التامة بالخلق والقدرة الكاملة بمالكيته يوم الدين
فصار كانه محسوس مشاهد فخوطب وهذه الجملة التي لفقوها
قد فقدت هذه الصفات فلا موضع للالتفات ، ولم تشتمل
هذه الجملة على التشويق الى صراط الحق وبيان نعمته ادبها
على المهتدي والتحذير عن الباطل ببيان انها صراط المغضوب
عليهم ولا الضالين .

فانظر هذه الجملة قد فقدت جميع المزايا والحكم والاسرار
ولم تبق الا الفاظ فارغة واجسام هامدة لا روح فيها ولا روح
ولا مزية ولا حكمة فيما ذا تعارض سورة الفاتحة .

ومن هنا تعرف دقة اسرار القرآن وحكمته البالغة
بحيث غيرا دنى تغيير فقط هذا السقوط وفقد جميع المزايا فان هذه
الجملة التي لفقوها لم تكن ابتداء منهم وانما هي سورة الفاتحة
بالفاظها وسبكها قد غيرت بعض التغيير فلم تبق لها تلك

المزايا فما ظنك بهؤلاء المتحلين لو كانوا انشأوا المعارضة القرآن كلاما ابتدؤه من انفسهم غير مجاورين سبك القرآن ولا مستعملين الفاظه وتراكيبه ؟ فاى درك كان من دركات السقوط ؟ وهذا ادل دليل على ان القرآن قد دوعى فيه جميع الجهات التي يسمو بها الكلام ويمتاز فيها عن كلام البشر ودوعيت فيه جميع الدقائق بحيث يضر اسقاط لفظ فيه اوزنة لفظ فيه او تغيير حرف واحد فيه وهذا لا يتشنى للبشر الذين هم معرض الغفلة والنسيان والذهول فلا بد ان يكون من كلام الله الذي يجل عن الغفلة والنسيان .

ويجدر الاشارة هنا الى امرين ، وهو ان معارضة القرآن في البلاغة امر مستحيل بذاته في غير الزمان الذي نزل فيه القرآن ، ولا اقصد بذلك ان المعارضة ممكنة في زمن النزول بل اقول ان التمييز بين القرآن وبين كلام عورض به في غير زمن النزول امر مستحيل وانما يمكن التمييز بينه وبين كلام

عورض به في زمن نزوله وقد حكم البلغاء بمقتضى فطرتهم وطبيعتهم بان البشر عاجزون عن الاتيان بمثله ، وانما تستحيل المعارضة على الوجه الذي بيناه لما هو بين من ان البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فاذا اريد تمييز الكلام

البليغ عن غيره فلا تبدان تنظر الحال التي ورد فيها الكلام
بجميع خصوصياتها وتنظر الى الكلام فان وجد مطابقا لتلك
الخصوصيات عد بليغا والا فلا . فتغيير بلاغة القرآن منحصر
بمراعاة خصوصيات الاحوال التي نزل فيها ولا يستثنى ذلك
الا الاهل ذلك العصر الذين شاهدوا تلك الاحوال فهم المرجع
في هذا الحكم وقد نقل بالتواتر القطعي حكمهم بعجز البشر عن مباراته .
اما غير اهل ذلك العصر فلا سبيل لهم الى هذا الحكم لانه يقتضي
نقل تلك الاحوال بخصوصياتها ودقائقها وهو مستحيل فاذا
تصدى احد لمعارضته القرآن في هذا العصر فقد تصدى الى
امر محال لان شرط المعارضة لا يتم الا بنقل خصوصيات تلك
الحال الينا لنقف عليها ومن البديهي استحالته ، وان تكون
الحال التي نتكلم بها المعارض والغاية التي نتكلم من اجلها عين
الحال التي تكلم بها القرآن من جميع الجهات ونفس الغاية التي
دعته الى التكلم وهذا مستحيل بنفسه ولا سيما اذا كانت غاية
المعارض هي المعارضة فانها تختلف ظهرا مع غاية القرآن التي
هي الارشاد الى اوامر الله ونواهيه والدلالة على فعل الخير
والتحذير عن الشر ودوغير ذلك ، فقد تبين ان معارضته

القرآن بفنها فى هذا العصر امر مستحيل ومن تصدى لها كان
هاذيًا لاغبًا اذ يقال له اعد خصوصيات الاحوال التى
نزل بها القرآن ولكن غايتك من الكلام عين غايته انصدك
الى التمييز بين الكلامين ، والا فالتصدى الى التمييز بينهما
من العبث لفقد شرط التمييز وهو اتحاد الحال والغاية .

وهذا يرد كيد كل من يتصدى لمعارضته القرآن فى
هذا العصر ويكم فوه فضلا لله فاه !

فقد اتضح لك ان معارضته مثل الغائحة فى هذا العصر
امر مستحيل وان الكلام الذى عورضت به ساقط كل السقوط
وانها مشتملة على دقائق لا يمكن ان يراعيها الا علام الغيوب
بحيث تخرج عن البلاغة اذا حدث فيها ادنى تغيير ، فاذا
عرفت ذلك يتجلى لك شدة الوقاحة والصلف لدى هؤلاء
المعنوهين فى قولهم : لا وجه - اذ علمت انه بجانب مستحيل -
وجمع كل المعنى - حيث عرفت ان كلامهم فاقد لكل المعنى -
وتخلص من ضعف التاليف - لما تبين انه لا ضعف فى التاليف
- والحشو - وقد علمت انه ناشئ لا حشو فيه وان من الحشو
ما يزيد الكلام بلاغة وبلاغة - والخروج عن الوزن كما بين

الرحيم ونستعين - لما علمت من ان القرآن ليس بشعر ولا سجع ولا خطب ولا رسائل فلم يبن على وزن خاص ولم تراع فيه قافية لانه فصل برأسه مستقل بنفسه عن جميع تلك الانواع من الكلام .

وعاشرا قولهم : ومن مزيلات البلاغة عدم المناسبة بين الآيات وخفاء معانيها فراها في اكثر السور منقطعا بعضها عن بعض اجنبيا عنه - وقد استشهدوا لذلك ببعض سوره العلق وقالوا بعد ذلك - فانظر بقطع هذه الآيات وان لنا معناها بمقتضى نظمها بلا تفكر وتروية بالفصل ان استطعت او قل خلاصة معنى السورة مع المناسبة لتفهم ما فيها من الاعجاز العظيم والبلاغة التي فوق طاقة الملائكة والناس .

هذا قولهم وهو دوس للحق واقدام على الباطل وتغرير وتمويه وتوغل في الجهل ، لان المناسبة بين الجمل في الكلام وظهور معانيها موقوف على امرين : الاول وحدة الكلام وذلك بوحدة المقصد والمعنى وزمن الكلام فلو تكلم انسان بكلامين ذوي معنيين لمقصدين في زمنين مختلفين وجمع هذان الكلامان ولم توجد بينهما مناسبة فليس ذلك بعيب في الكلام ولو طلب احد

المناسبة بين كلام [illegible] اليوم وكلام آخر لمقصد آخر تكلم به قبل ايام لكان اصح جوابه الهزؤ والحكم بنقص عقله . الثاني الوقوف على القرائن الحالية او المقالية فانها مبينات الكلام فلو مدحت مؤلفا على تاليف كتاب وقال لك مخاطبك لقد ابدع لم يكن لك ان تعد كلامه ناقصا بتجرد ذكر الفعل مجردا عن الفاعل لان قرينة المقال دالة على ان فاعل ابدع هو المؤلف وكذلك لو رايت رجلا مقبلا فاشرت اليه قائلا هيا الهوني لم يكن لمخاطبك ان يرمي كلامك بالنقصان لتجرده عن الفاعل لان قرينة الحال دالة على ان فاعل هيا هو الرجل المقبل . وقد ذكر ذلك النحاة واوضحوا لزوم التقدير في الكلام حتى عد من الامثال السائرة قولهم : لولا التقادير لعرفت النحو الجهير . وهذا عذر لهؤلاء المجبرة ان اعترضوا على القادر ولم يفهموها وادعوا عدم المناسبة بين الآيات .

والآفان المناسبة بين الآيات اوضح واجلى من ان تخفى على من له ادنى فكر ورويه وان اعتمد على القرائن الحالية او المقالية فليس ذلك مما يوجب طعنا على القرآن . الا عند من لا ادراك له ولا علم — وقد جرت طريقة البلغاء والفصحاء على ذلك

فاذا اريد معرفة معنى اية فلا محيص من النظر الى اسباب نزولها وزمنه وما احتفت به من القرائن لتتم شرائط فهم الكلام فنعلم ما حذف اعتمادا على قرينته وربما وجب حذف بعض الكلام كحذف الخبر والفاعل وغيرهما في موضع يجب الحذف فيه بحيث لو ذكر لكان مخلا بالبلاغة او معيبا عند اهل اللغة كما نبه عليه علماء النحو والبلاغة .

ومن الجهل الفاضح ان يتطلب الارتباط بين جميع الايات فان الكلام ليس بكلام واحد ولم ينزل في زمن واحد بل كلام متعدد نزلت كل اية منه في غير زمن نزول الاية الاخرى لمقصد لم يقصد من سواها . ولا يلزم ان ترتبط الاية التي نزلت بمكة مثلا واعنيه الى التوحيد مع الاية التي نزلت في المدينة لتحريم الخمر او الزنى وربما يكون بينهما اكثر من عشر سنين من الزمان . فطلب الارتباط بينهما طلب امر باطل لم يجر على طريقة العقلاء في المحاورات . وكان هؤلاء الحمقاء فرضوا القرآن كتابا مؤلفا لغرض واحد على حد سائر الكتب المؤلفة لمقصد واحد ولم يعلموا انه مجموعة ايات بينات نزلت لمقاصد مختلفة مما نبه خبير الانسان ثم جمعها الناس بعد ذلك كما يجمع كتب الحكم

والامثال ، فهل يعذر العاقل اذا نظر الى مجموعة امثال وحكم فطلب المناسبة والارتباط بين كل مثل وبين الاخر وبين كل حكمة والحكمة الاخرى .

على انا لا يجب ان نطيل الكلام في هذا المقام بل يجب ان نرجع الى اهل اللسان الذين نزل القرآن بلغتهم وفي زمانهم فاننا نرى انه فوق كلام المخلوقين فهل يحتمل ان القرآن كان عاريا من المناسبة غير مرتبط بعضه ببعض وخفي ذلك على جميع البلغاء سنين طوالا ولم يتنبه له الا هؤلاء المفسرون البله والمستأجرون لترويج الباطل بثمن بخس .

بقي الكلام في ما استشهدوا به وزعموا عدم وجود المناسبة بين اياته وهو بعض سورة العلق ، ولعمري ان هذا الاستشهاد ليكشف عن ان هؤلاء الحمقاء لم يهتدوا في هذا شيء ، وما اشبه هذا بأن من يستدل بضياء الشمس على وجود الليل فان السورة المزبورة قد اشتملت على ما يحير العقول من حسن البيان وبديع المناسبة وبين الارتباط الذي يجعل الانسان معتقدا بان ذلك لا يصدر الا عن افكار البشر ومع ذلك يجعله هؤلاء السفهاء دليلا على عدم المناسبة

والارتباط ، فلنورد السورة المباركة وشيئاً من شرح معناها
لينكشف وجوهم المطبق .

واليك السورة المباركة :

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك
الرجعى أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى أرأيت ان
كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى
ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية
كلا لا تطعه واسجد واقترب

اما معناها فلا بد من ذكر النزول قبل العرض للمعنى لما عرفت من ان معرفة المعنى موقوف عليه ، وسبب نزول هذه السورة هو ان ابا جهل قال لقومه هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم اى هل يسجد - قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه يتقي بيده

فقالوا ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار و هولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه واله والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فنزلت ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى . وعن ابن عباس ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي فقال له الم انهك فانتهره رسول الله صلى الله عليه واله فقال اتنهرني يا محمد وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت فليدع ناديه سندع الزبانية .

واذا عرفت مورد نزول هذه الايات فيجب ان نعلم هل نزلت هذه السورة مرة واحدة فتكون كلاما واحدا ويجب وجود المناسبة حينئذ بين جميع آيها ، او ان بعضها نزل في غير الوقت الذي نزل فيه البعض الاخر فتكون كلامين ولا يجب وجود المناسبة حينئذ الا فيما اتحد نزوله . واعلم ان المفسرين ذكروا ان الايات الخمس هي اول ما نزل من القرآن وبعد ذلك نزل باقي السورة في قصة ابي جهل المذكورة لكن المرجح ان السورة نزلت دفعة واحدة وان اول ما نزل من القرآن كان في قصة ابي جهل المذكورة ويؤيد ذلك ارتباط جميع اياتها بعضها ببعض .

ويجب ان نعلم ان القرآن الكريم وان نزل كثير من اياته

في موارد خاصة الا ان النظر العام لم يغض فيه وذلك ان المقصد الاسمى من نزول القرآن هو الهداية الى توحيد الله و الارشاد الى ما فيه صلاح العباد والامر به ، والتنبيه على ما فيه فساد هم والنهي عنه . فاذا نزلت آية في مورد خاص فلا بد ان تكون جارية مجرى القاعدة الكلية والحكم العام لتكون انموذجا عاما ومنهجا مستقيما يسير عليه من هداه الله ، ولذلك قال العلماء ان خصوص المورد لا يخصص العام .

اذا تمت لك هذه المقدمات فاعلم ان المراد من التوءدة المباركة هو الحث على ذكر الله وعبادته ليكون ذلك باعثا على الجد والاجتهاد عاريا عن الشر والمبالغة في الحث انما تتم بامرين الاول اظهار كمال قدرة الله تعالى والثاني اظهار كمال عجز الانسان ليكون العاجز مقهورا على اطاعة القادر عاجزا عن مخالفته ، والتوءدة تتضمن بيان هذين الامرين باحسن بيان وابدع عبارة فانها تعرفت اساليب مختلفة ودوعا عجيبا وحثا بديعا بطرق متعددة يعجز عن احصائها في هذا الايجاز البشر

فامر اولا بقراءة اسم الرب بقوله باسم ربك تعظيما له عن ذكره باسمه وبيانا لان الاستعانة

لابدان تكون به جل ثنائه ثم ذكر كمال قدرته بقوله - الذى خلق - على الاطلاق اى خلق كل مخلوق فيكون ذلك دليلا على استحقاقه العبادة والطاعة ، وخص الانسان بالذكر بقوله خلق الانسان من علق تنبيها على انتهائه فى القدرة لان خلق الانسان اعجب من كل مخلوق مشاهد وهو يستدعى قدرة لا يستدعيها غيره من المخلوقات وفى ذلك دلالة على شرف الانسان من حيث الخلقة لاختصاصه بالذكر من بين سائر المخلوقات فهو احد ديان يطيع الله ويعبده ، وفيها تصريح بعجز الانسان ببيان قاطع وبرهان صريح حيث انه خلق من علق فهو مثال الحقارة والعجز لا موجب لطغيانه ومخالفته .

وبعد ان ذكر كمال قدرته الله وغايته عجز الانسان لينبه الى طاعة الامر بالقراءة وذكر الدليل على القدرة والعجز - كرره عين ما ذكره اولا باسلوب اخر فقال - اقرأ - تاكيد للاول وبيانا لوجود المقتضى وفقدان المانع فكانه قال واذ عرفت ان الله هو القادر وانك انت العاجز فاقرأ اذ لا محيص لك عن القراءة - وربك الاكرم - اى اكرم من كل كريم لانه انعم على عباده بجلائل النعم وانه هو - الذى علم - البيان

والكتابة - بالقلم - وذلك كمال القدرة والكرم وانه هو الذي
- علم الانسان ما لم يعلم - من العلم والكمال وما يحتاجه الانسان
في معاشه ونظام اموره ومعاده وهذا فضل على الانسان خاص
وبيان لكمال عجز الانسان مع انه بيان لكمال قدرة الله فلا
يستطيع الانسان مخالفته ولا محيص له عن اطاعته .

ثم ردع الانسان عما عسى ان يخطر بباله من المعصية بقوله
- كلا - بعد ان ذكر اسباب الردع وموجباته من قدرة الله
وعجز الانسان .

ثم ذكر ما جبلت عليه طبيعة الانسان من الطغيان بقوله -
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى - اى راى نفسه مستغنيا
ثم بين له ما يوجب ردعه عن الطغيان بقوله - ان الى ربك الرجعى
- فاذا كان مرجع الانسان الى ربه ولا محيص له عنه فهو على
كمال العجز والله له كمال القدرة اذ مرجع الانسان اليه وحينئذ
فلا يستطيع الانسان مخالفته والاصرار على الطغيان ، وهذا
بيان شاف بسبك عجيب لعجز الانسان وكمال قدرة الله تعالى
وفيه الحث الحثيث على الطاعة والكف عن المعصية ببيان يعجز
عنه المخاوفون .

ثم نطرق الى ذكر القضية الخاصة وهي قصة ابي جهل
ولكن بوجه عام وسلك عجيب اذ جعلها كالشاهد على جميع
ما مر لتكون نصيحة عامة وارشادا لجميع المخلوقين فقال —
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ
— اي ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ان كان ذلك العبد
على الهدى او امر بالتقوى او كان مكذبا ومتوليا الم يعلم
بان الله يرى جميع اعماله ويحاسبه عليها . فجملة كان على الهدى
او امر بالتقوى فعل الشرط وجملة كذب فعل للشرط الثاني
وجوابهما الم يعلم بان الله يرى لان الشرط الثاني بمنزلة التاكيد
لشرط الاول والجملة الشرطية كلها بمنزلة المفعول الثاني لرايت
الاولى ومفعولها الاول الذي ينهى . وفي هذا من بديع
البيان ما يبهر العقول فانه ذكر الاستفهام اولا للتقرير والتوبيخ
وجعله كالشاهد لما مر وفيه شدة التنبيه على الرؤية
ثم ذكر المفعول الاول هو الناهي الذي هو من جنس الانسان
الذي مر عجزه ثم ذكر المنهي وهو العبد الذي اطاع ذلك
القادر الذي مر بيان كمال قدرته ففيه كمال التفريع

لابي جهل على طغيانه لانه عمل على خلاف البرهان الذي
مر ذكره من وجوب الطاعة وكمال المدح لمحمد صلى الله عليه وآله
لانه جرى على مقتضى ذلك البرهان ، وشدة التنبيه للعبا
ان يعملوا كما عمل النبي وينتهوا عن امثال عمل ابي جهل ، ثم كرر
الاستفهام عن المرة بعد المرة لعظم الفائدة المتقدمة الذكر اعظاما
لقصته ابي جهل وتحذيرا عن الوقوع في مثل هلكته وكرر
ارايت مثل المفعول الثاني وهو الجملة الشرطية اشعارا بان
هذه القصة لعظمها مما تستوجب التفريع والتوبيخ في جميع اطرافها
ثم ذكر اداة الشرط وفعلها وهي المفعول الثاني ولما كان فعل
الشرط مرددا بين ثلاثة امور اثنان منها من سنخ واحد وهما
الاهتداء والامر بالتقوى وواحد من سنخ اخر وهو التكذيب
والتولي - ذكر الامرين الاولين فعلا للشرط وردد بينهما بأو
لانهما غير متلازمين لان معنى على الهدى ان يكون الانسان
مهتديا بنفسه ومعنى الامر بالتقوى ان يكون الانسان هاديا لغيره
وذكر الامر الثالث بعد ان اعاد قبله ما كان قبل فعل الشرط
وهو ارايت وان ، اشعارا بان هذا الامر مستقل عن ما تقدمه
وغير عار عن تلك الفائدة والتشديد في اعظام تلك الواقعة

وذكر جواب الشرط على سبيل الاستفهام الانكاري تنبيها على تحقق العلم بان الله يرى نفس بعا لابي جهل في فعله مع علمه بان الله يرى واطلق الرؤية للدلالة على انه يرى كل شئ لان حذف المتعلق يدل العموم والرؤية وحدها لا تكفي لردع الانسان عن الطغيان ما لم يتعقبها الحساب فهو المقصود من الرؤية كما تقول : لا تفعل هذا فان الامير يراك ومرادك انه يراك ويعاقبك وفي هذه الاية بيان اخر لعجز الانسان المقتضي لان يطيع و لكمال قدرة الرحمن الذي يقتضي ان يطاع فان الله اذا كان يرى اعمال الانسان ويحاسبه عليها فالله هو القادر والانسان هو العاجز وهل يصح للعاجز ان يخالف امر القادر .

وبعد ان ذكر عجز الانسان وكمال قدرة الرحمن بطرق مختلفة واولة متعددة وذكر القضية الخاصة نحو عام عقب ذلك بردع ابي جهل عن عمله بقوله - كلا - ردع وزجر لابي جهل ولما لم يكن نظره مقصورا على ابي جهل ذكر الردع بوجه عام ليشمل جميع العباد الذين يرتكبون المعاصي وفي هذا الردع من الفائدة ما ليس في الردع الاول فان الاول كان ردعا عاما من غير نظر الى القضية الخاصة والثاني ردع عام

وفيه نظر الى خصوص ابي جهل .

وبعد ان ذكر ردع الانسان بين ما يعقبه ان لم يرتدع ناظرا الى كمال قدرة الله وعجز الانسان الذي يعبده بابلغ واوجز بيان فقال - لئن لم ينته - الناهي عن فعله وهو القادر ولنا كمال القدرة عليه - لنسفعن بالناصية ناصيته كاذبة خاطئة - اي لناخذن بناصيته ونجعله بها الى النار اذ السفع هو القبض على الشيء والجذب به بشدة وسحبه . وذكر الناصية باللام دون الاضافة ليكون صورة صورة العام فيدل على انه ناظر الى العموم في ضمن القضية الخاصة وان كانت اللام للعهد وافقا والنظر فيه مقصور على ناصية ابي جهل . وفي هذا كمال قدرة الله على الانسان القادر .

وبعد هذا ذكر السبب الذي استحق به غريم المنهى هذا العقاب فابدل من الناصية وقال - ناصية كاذبة خاطئة - فالكذب والخطأ هما السبب في عقابه وانما اسندهما الى الناصية مع ان الكاذب والخاطئ صاحبها لان السفع كان بها وهو على الاسناد المجازي وفيه من الجزالة وحسن السبك والبلاغة ما ليس في قولك ناصيته كاذب خاطئ .

وبعد ذكر عقاب مقترف السيئات وقدرته الله على ذلك والسبب الذى من اجله غائب نصدى لرفع استناد ابى جهل ومنعه بقوله حيث قال: انهرنى وانا اكثر اهل النادى ناديا اى اهل ناد على الاسناد المجازى كما قال زهير.

وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل

اى اهل مقامات لان المقامة هى المجلس. فقال - فليدع ناديه سندع الزبانية - امر ابدعوه اهل ناديه تعجيزا له وهكذا هو من اغراض الامر ومنبها بان ما استند اليه لا يصلح للمنعه لانه عاجز امام الزبانية اى الشرط والمراد بهم الملائكة الموكلون بالنار الذين بامرهم الله سبحانه بتعذيب العاصين. وهذا البيان وان كان فى نفسه ابى جهل الا ان النظر فيه عام كما هو المستفاد من سياق جميع الشون والمراد انه لا وزر ولا منعة من الله لكل خاص ومقترف للسيئات

وبعد ان ذكر ان لا منعة للعاصى من الله نصدى لرد ابى جهل بوجه عام فقال - كلا - فكانه قال لم يبق ما يقتضى المعصية ويمنع من الطاعة بل المقتضى للمعصية موجود والمانع مفقود فليرتدع العاصى.

ثم قال - لا تطعه واسجد واقترب - نهيًا له عن اطاعته
ابي جهل والمداومة على التعبد لله والاقتراب من رحمته . وتعليمًا
لجميع الناس ان لا يطيعوا العاصين ويداوموا على العبادة لله
لانه موالفادر المغالب للعاصي العاجز اذا عصاه . وفيه من
التشويق الى العبادة باتها اقتراب من الله بعد التحذير عن المعصية
بما ترتب من العقاب ما لا يخفى على الفطن اللبيب

هذا بعض ما يصل اليه الفهم مما في هذه السورة المباركة
من الحكم والنكات والاسرار الكلامية وانه لشاهد بحير الالباب
يذهل العقول ويدفع الانسان الى الاعتقاد الجازم بان هذه
الاحاطة والشمول للمذاهب الكلامية مما لا تسع اذهان البشر
ادراكه . ولو اردنا شرح جميع ما يصل اليه الذهن من اسرار
هذه السورة لاستوعبت مجلدًا ضخمًا لا ينبغي سطره في هذا
المختصر . ولبقي مع ذلك كثير مما لا ندركه افهامنا لانه يبتدع
اعادة الحال التي نزلت فيها هذه السورة بتمامها وهو محال .
ومع ذلك كله نرى هؤلاء المعاندين يزعمون ان السورة
غير متناسبة الاجزاء ولا مرتبط بعضها ببعض وللوصول الى غايتهم
الخبيثة هو هو نموها عجيبًا فانهم ذكروا فعل الشرط وهو ان

كان على الهدى ولم يذكروا الجواب وهو العلم بان الله برئ
ومن البديهي عدم تمامية الكلام اذا ذكر فعل الشرط بلا جزاء
ولكن لا ادري ما الذي سوغ لهؤلاء الموهبين ارتكاب هذا
الموبه وفي اي خيال تاهوا ؟ هل خيلت لهم مخيلتهم ان القرآن
امر مخفي يستطيعون ان يحرفوا فيه هذا التحريف او انهم عشقوا
الكذب على القرآن وتغيره وان ظهر ذلك ؟ اللهم ان امر
هذه الطائفة الضالة لمريب . فاكف شرها انك واهله .

نقد الفصل الثاني

وهو يتحصر في امور

١ - قولهم زعم بعض علماء المسلمين ان اعجاز القرآن صرف الله الناس عن الاتيان بمثله مع قدرتهم عليه . قلنا ليس الامر كذلك بل اتى ذلك كثيرون ولكنهم احرقوا اقوالهم الخ

هذا قولهم وهو نكرار لما سبق وقد بينا هناك ان اقوالهم اذا احرقت وتلفت فكيف علم انها مثل القرآن ؟

واوضحنا ان معارضته القرآن امر مستحيل لانه يقتضي اتحاد الحال ليعلم اي المعارضين مطابق لها واتحاد الغاية ليعلم اي الكلامين اوفق بها . ولا يمكن ذلك الا للعرب الذين نزل القرآن في زمانهم وقد حكموا جميعهم بان معارضته امر خارج عن طوق البشر وحكمهم المدار في الاعجاز سواء كان للصرف او لغيره فان هذا اختلاف في سبب عجز البشر والعجز انما هو نفس العجز لا سببه . ولكن هؤلاء الاغبياء لا يشعرون فوقعوا في هذا الخبط واعادوا هذيانهم الاول زاعمين انه حجة ثابتة .

ومن غريب امرهم انهم اوردوا سوره من القرآن غير منها

بعض الكلمات فزعموا انها مثل القرآن وذلك قول من قال : انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وجاهر ولا تعتمد قول ساحر وهذه هي سورة الكوثر غير فيها الكوثر بالجواهر واخر بجاهر وذكر لا تتبع قول ساحر مستقلا ومع انها عين سورة الكوثر قد سئمت هذا التغيير البين وكان الاسلب ان يقول وناجر بدل وجاهر لان الجواهر انما تناسب التجارة ، ومع ذلك فان هذا الكلام يشبه الهذيان اذ لا فائدة معتبرة للمتكلم به فليست له حال ليعلم هل طابقها اولا فما هو الا لغو .

مضافا الى ذهاب جميع النكات التي تر ذكرها في سورة الكوثر من هذا الكلام . وفي قوله ولا تعتمد قول ساحر ما لا يخفى من ركاكة العبارة وغلط التركيب سيما تنكير ساحر واستعمال لا تعتمد في هذا المقام فانه غلط صريح .

ويفساد السورة بذلك التغيير البين وفقد انها لجميع المزايا التي كانت مشتملة عليها يمكنك ان تستدل بان القرآن قد روعي فيه جميع المقتضيات ولم يترك منها شيء ولذلك يختل بادنى تغيير وهذا مما يدل على انه من كلام الله تعالى حيث يستحيل الاطلاع على هذه الدقائق وهذه الاحاطة لغير علام الغيوب

وبما ذكرنا يعرف جميع ما ذكره في القول الاول تعالى الله وزعموا انه معارض للقرآن وهو من قسم الهذيان الذي يخرج منه الاطفال والمجانين الامن اعماه التعصب واضله ، فاخذ يمدح تلك الجمل الساقطة بعبارات ركيكة والفاظ لا معنى لها فبعدًا للمادح والممدوح .

٢- زعمهم ان القرآن من نوع السجع فاوردوا عليه بانه مشتمل على الابطاء - وهو تكرير القافية - وعدم تناسب الفواصل كما في سورة تبت لقوله في حبل من مسد مع ان القافية قبله الباء وهو متمكن من ان يقول من سلب والسلب والمسد معناها واحد وهو الحبل المفتل الخ

وهذا الزعم يبطله ما علم من ان القرآن ليس بشعر ولا سجع فلم يبن على قافية ولا وزن ولم تلحظ احكامها ، كيف والقرآن قد ذم الشعر بقوله ، وما علمناه الشعر وما ينبغي له وبقوله: والشعراء يتبعهم الغاوون ، والنبي صلى الله عليه وآله ذم السجع حيث قال للذين قالوا له في شأن الجنين كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا صاح فاستهل اليس دمه قد بطل: اسجعا كسجع الجاهليين . وقد قال : اسجعا كسجع الكهان ، فاذا

كان القرآن والنبي قد ذما الشعر والسجع فهما إلى الخروج عنه اولى ، ولو ان العرب علمت بان القرآن سجع وهو مشتمل على الاطناب وعدم تناسب الفواصل ومما هو مومأن عندهم لذمت ذلك وذكرته عيبا على القرآن فحيث لم يعدوا ذلك عيبا واعترفوا بان القرآن خارج عن طوق البشر فلا بد اما ان يكون القرآن سجعا او ان الاطناب وعدم التناسب في الفواصل غير معيبين ، والعرب هم المرجع في كل ما يعود الى اللغة .

وهؤلاء المومنون استغربوا مما قالوه بعد ان اوغلوا في الطعن على القرآن فقالوا في هذا الفصل : ومن اعجب ما علم ان قرشيا بليغا - اراد النبي صلى الله عليه وآله - شغل تاليف كتاب صغير اكثر من عشرين سنة ولم يحكمه احسن احكام - هذا قولهم ونحن نضيف اليه ان العرب جميعهم راوا هذا الكتاب وحكموا له بالجمع بانه خارج عن طوق البشر ، فهل من العدل ان يحكم على ذلك القرشي الذي ادعى الاعجاز في ذلك الكتاب وعلى هؤلاء البلغاء الذين صدقوه في دعواه ، بالخطاء وهم فصحاء العرب ويحكم لهؤلاء المتهوسين بالتفخر : سبحانك اللهم ان هذا الاحكم جائر يدل على تعصب الحاكم به وجهله .

ويضاف الى ذلك ان ائمة البلاغة من علماء المسلمين حكموا
جميعهم باعجاز القرآن مع انهم مصدر وعلم البلاغة وائمة البيان
ولديهم فصل الخطاب فهل يمكن ان نقول ان جميعهم لم يدركوا
شيئا مما ادركه هؤلاء الاغبياء ؟ ولقد قالوا في هذا
الفصل : ان اول ما من بلغاء المسلمين القوا مواعظ وحكما تسمو
على القرآن فصاحة وبلاغة ونظما هذا ما قالوه واذا كان
حقا فلماذا احكم اولئك البلغاء جميعهم بانهم عاجزون عن مباراة
القرآن مع ان الانسان مهما دعاه الفطرة الى تنبيه الفضيلة
لنفسه . لا شك انهم بلغوا الحد الاقصى مما يمكن ان يبلغه البشر
في البلاغة وعلموا ان القرآن فوق قدرة البشر فاعترفوا بالعجز عنه .

٣ - قولهم : راى بعضهم ان اعجاز القرآن ما فيه من انباء الماضي
مع ان الذي اوحى اليه امي لا يعرف القراءة .

هذا قولهم وهو افتراء محض على المسلمين لم يوجد له اثر في
كتبهم ، وغاية ما يوجد في كتب المسلمين ما ذكره بعض العلماء
من ان القرآن اشتمل على معاجز كثيرة مضافا الى اعجازه في البلاغة
والفصاحة ، ومن جملة معاجزه الاخبار بالغيب عن الماضي والمستقبل
فالماضي كبعض قصص الانبياء والامم التي لا وجود لها في كتب الامم

السابقة ولم يبنا قلها الاعراب . والمستقبل كاخباره بكثير من الحوادث التي وقعت بعد نزول القرآن كقوله تعالى :

غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ وكقوله : إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ وكقوله : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وغير ذلك مما ذكره القرآن قبل وقوعه فوقع مطابقا لما اخبر به .

ولم يدع احد من المسلمين ان الاخبار بالغيب معجزة القرآن الوحيدة بل ذكروها مضافة الى معجزة الفصاحة ، ولست ادري ما الذي حمل هؤلاء الناقطين ان يفتروا على المسلمين هذا الافتراء القبيح ؟ ويبدلوا الاخبار بالغيب بالاخبار عن انباء الماضي .

ولو فرض وجود من يدعي هذه الدعوى فدعواه عليه لا يصح ان يسئل عنها غيره . ونحن نردها كما نرد اي مدع صدود ، وسنبين ان المعجزة هي الفصاحة والبلاغة وان وجد معها بعض المعاجز الاخر

وبما اوضحنا نعرف جميع ما ذكروه بعد هذا من الايرادات على هذا الوجه فانها لا ترد على من لم يقل به والمسلمون لم

يقولوا به . ولكن هناك بعض المذهبانات والافتراءات لا بد من التنبيه عليها .

فمنها قولهم : ان النبي كان يخالط علماء اليهود والنصارى وبما عدوه ذكاء ، ويصفونه في اقواله .

ومذهبان عظيم فان النبي صلى الله عليه وآله نبي تعالم الاسلام على حمايته الضعفاء ومشاركة الفقراء للاغنياء في اموالهم والتواضع والمساواة بين الضعيف والقوي والفقير والغني والملك والسوقة وكان يؤنب اليهود والنصارى لتعظيمهم الاحبار والرهبان واتزالهم فوق قدرهم والتذللهم ، ويجد ذلك صريحا في القرآن واحاديث النبي صلى الله عليه وآله ، كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وكقوله تعالى ولا يتخذ بعضكم بعضا اربابا وكقوله تعالى : قل انما انا بشر مثلكم . وكقوله عليه السلام لا تتخذوا قبري مسجدا فوالله ما هلك من كان قبلكم من الامم الا باتخاذهم قبور انبيائهم قبلة . وغير ذلك من الايات والاحاديث التي تنفي معرفة اليهود وجبروت النصارى وكبرياء المتسببين واستئثارهم بالحكم و استعبادهم البشر واختصاصهم حتى بالجنة فيهبونها لمن شاءوا

ويمنعونها ممن شاؤا وغير ذلك من العادات المضرة بالنوع
الانساني والمنافية لروح الاسلام . فمتى خالط النبتي اليهود
او النصارى ؟ ومن داعي التعاليم الاسلامية من اولها الى
اخرها ورأى انها متشبعة بروح العدل والمساواة افتى جزما
بانها لم تتفق في اي وقت من اوقاتها مع النصرانية واليهودية
المبنيين على الاثرة والتسلط والقهر والغلبة والكبرياء الذي
ينزل المتبعين منزلة الالهة والمعبودين . نعم ان بعض احبار
اليهود وعلمائهم لما نظروا الى معجزات النبي صلى الله عليه وآله
وتعاليمه الحقة وكانوا مبشرين بظهوره في التوراة امنوا وصدقوا
به واتبعوه حبا للحق وتخلصا لانفسهم من عذاب النار وبقوا
مؤمنين الى ان ماتوا .

ومنها قولهم : ولما فوتت شوكته - اي النبي - كفر الفرقين
- اي اليهود والنصارى .

من الغريب هذا القول فان من خصائص دين الاسلام
انه صدق جميع الاديان التي قبله وامن بها فقال القرآن الشريف :
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم

ونحن له مسلمون . والنبيون لفظ عام شامل لجميع الانبيا
بلا استثناء فمن نبي الا وصدقه الاسلام ، نعم انكر الملحدين
والكفار والوثنيين مخترافاتهم ونسخ من احكام الانبياء السالفة
ما لا يوافق مصلحة عصره وما بعده من الاعصار وأتى باحكام
لم تكن في اديان الانبياء السالفة وقد بنى عليها صلاح البشر
وسعادتهم ، فان كان هذا تكفيرا فنعما هو . وان كان المراد
من التكفير انتقاد اليهود والنصارى بتحريف التوراة والانجيل
وتبديل احكام الله على حسب ما تشتهيه انفسهم وبهوتهم اليه
هواهم مما اضر باخلاقهم وبدل الصلاح فسادا ، فالبشر كلهم
مدينون بالفضل والمنة لهذا التكفير .

ولما رأى سنت كلا يوشد ل بعض الموافقة في بعض الاحكام
بين الاسلام والاديان السالفة كتب كتابه ليوبد الافهام في مصادر
الاسلام واضحا ان الاسلام ملفق من الاديان السالفة واستشهد
بذلك الكتاب هؤلاء المقلدون منا .

ومن البين ان الاسلام لم يأخذ دينه من تلك الاديان
وانما صدقها وليس ذلك بعيب على الاسلام بل هو فضيلة له
ودالة على انه بعيد عن العناد تابع للحق اينما كان يفرق بين الحق

فيثبته والباطل فينفيه وليس النبي مثل الغادي الذين يجرهم
العناد الى رد مثل اعجاز القرآن والحكم على كل كلمة كلمة بالغلط
والخطأ من دون استثناء . وكان الأولى ان يرجع مولانا المعاندون
الى كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية او الى الجزء الاول
والثاني من كتاب المعارف المحمدية المطبوعين في مصر ويبرون لهم
ان الوثنية الباطلة اصل الديانة النصرانية التي هي مبدا النصارى
اليوم ، الاولى ان يرجعوا الى امثال هذه الكتب المصرحة بفضح
النصرانية التي طبقت العالم عارا وعمت الانسانية بخزايها
وعهرها وينكفوا ويكفوا عن اسماع المسلمين سباهم واصوات
هذيانهم المنكرة .

نقد الفصل الثالث

وهو في موارد

١- قولهم : ان في القرآن كلاما اخذ عن الرجال والنساء و الشياطين بلفظه او بشيء من التغيير فهو ليس من وحي الله .

انا لم نثبت هذه المقالة للنقد فانها لا تستحق النظر فضلا عن الانتقاد ولما فيها من بذاءة التعبير والدعوى الصرفة بلا اساس وانما ذكرناها لنظر المسلمون مبلغ تجاوز هؤلاء الخاسئين في خسئهم وجرأتهم على القرآن ، لنظر المسلمون ذلك فلا تأخذهم بهؤلاء المخاسرين رأفة ولا رحمة . ولبغابلوهم بالمثل حتى ينكفوا عن الباطل الذي اصروا عليه ويرجعوا الى الحق ، وانما كان من الاسلام تقديس المسيح والانجيل الحق ولا يبيح الكلام فيهما بالسوء فان الانجيل المحرف والمتنصرين المؤمنين لا كرامة لهم فانهم خذاب العالم وشقاوته فليشق المسلمون شرهم .

٢- قولهم ان القرآن اخذ قوله فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ من قول عنترة :

فاذا الاديم ضاوت وردة مثل الدهان

هكذا فلتكن الدعاوى وكذلك لتكن بيناتها . ان القرآن

مركب من الالفاظ والالفاظ كلها مستعملة عند العرب وانما
امتاز القرآن بتراكيبه وسبكه ونظمه والبلاغة ليست في المفردات
وانما هي في التراكيب والفواصل انما يكون بها . واذا حكمنا
للقرآن بانه اخذ من غيره لتجرد وجود لفظة منه في شعر احد الشعراء
فلا بد من الحكم على كل كلام بانه مأخوذ من سابقه لوجود مفردات
الفاظ الكلام المتأخر في المتقدم حتى ينتهي الى الواضع الاول
او المستعمل الاول فهل يصح هذا الحكم ؟ ولا يخفى ما بين الآية
والبيت من البون الشاسع في التركيب والسبك ولا يقدح وجود
لفظتين مفردتين من الآية في البيت على انه لم يثبت ان هذا البيت
لغيره اذ لم يروه عنه احد وانما وجد في الديوان المنسوب اليه
ولم نعلم صحة نسبته .

وبهذا تعرف الجواب عن قولهم : ان قوله تعالى خلق الانسان
من صلصال كالفخار ماخوذ من قول امية بن ابي الصلت :

كيف المجود وانما خلق الفتى من طين صلصال له فخار

اذ لا مشابهة بين الآية والبيت الا بوجود لفظتين منها فيه والبلاغة
انما هي في التركيب بين تركيبهما كما لا تفاوت .

٣ - قولهم : واخذ القرآن قصته صالح والناقة وفصلها وغيرها

من انباء العرب . وذكروا ابياتا لمسيلمة بن هرم تشبه الى ذلك وليست بمتفقة فى المعنى مع جميع الآيات القرآنية التى ذكرت قصصه صالح ولم يكن فى الابيات لا جملة ولا لفظة من جمل تلك الآيات والفاظها فكيف يكون القرآن مأخوذا من تلك الابيات .

ان اراد ان جملة ماخوذة منها فليس كذلك وان اراد ان معناه ماخوذ منها فهذا خارج عن موضوع الكلام لان كلامهم فى البلاغة وهى من صفات التراكيب لا المعانى ، ولم يخطر على القرآن ان يذكر آية من آيات الله عرفها بعض العرب فان القرآن لم يدع ان جميع ما ذكره من الآيات لم يعرفه احد من الناس كيف وقد ذكر فى عداد آيات الله النجوم والشمس والقمر والليل والنهار والارض والجبال والنبات والاشجار وغير ذلك مما يعرفه كل احد . على ان ما ذكره مسيلمة بن هرم لم يكن الا بعض ما ذكره القرآن من قصة صالح .

٣ - قولهم : واخذ بناء خضوع الجن لسليمان من قصص العرب قال النابغة الذبيانى فى مدح النعمان .

ولا ارى فاعلا فى الناس يشبهه ولا احاشى من الاقوام من احد
الا سليمان اذ قال الاله له قم فى البرية واحددها عن الفند

وخبس الجن انى فداذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله خبس الجن اى ذللهم انتهى قولهم .

وانت اذا نظرت الى الابيات المذكورة والى سورة النمل وخبرها من الهدهد التى ذكرت قصة سليمان عرفت ان لا مشابهة بين الابيات وبين ما فى القرآن لا فى الالفاظ ولا فى التراكيب والاسلوب ولا فى المعنى فكيف يدعى هؤلاء الاجلاف الاجلاف ان القرآن مأخوذ منه ، نعم تدل الابيات على ان العرب كانت تعرف شيئا من قصة سليمان وهذا لا يثبت شيئا من مدعاهم وليس يعيب على القرآن ان يذكر قصة ذكرها بعض العرب بل هذا مما يزيد الاعتماد بالقرآن حيث ان بلغاء العرب ذكروا قصة فلم تكن لها مزية من البلاغة وذكرها القرآن بعينها فكانت خارجة عن طوق البشر .

٥ - قولهم : واخذ نبأ الخليفة وموسى والمسيح عن اليهود والنصارى وحرف بعضها بجهلهم بشأن ام استبحثوا او لخداع المناظرين اعتمادا لذلك الاعلى اوراضاء وابها حاله . ولا موضع فى هذه الرسالة لبيان ذلك . انتهى هذيانهم .

نسئلهم ما الغرض من قولهم اخذ نبأ الخليفة من اليهود والنصارى هل نأخذ من افواههم فذلك دعوى لا شاهد

عليها لا من التاريخ ولا من غيره او انه اخذ ذلك النبأ من
الانجيل والتوراة فينبغي المقابلة بين القرآن وبينهما، وبحولها
فمتى القرآن بهما وجدنا الانجيل عاريًا من كل نبأ الا ما يتعلق
بالمسيح فدلنا ذلك دلالة واضحة على ان ما بايدي النصارى
اليوم ليس هو الانجيل الموحى به من الله وانما هو تاريخ حياة
المسيح لانبا ثوب خرافة ينكره العقل والوجدان هو تاليف رجال
جاهلين نشأوا بعد المسيح ولم يعرفوا حياته فلفقوا خرافات من
انفسهم اضافوها الى ما سمعوه في شان المسيح وغيره وساعدهم
على نشرها عصور الهمجية والوحشية التي لزمت الاذهان ان
يعتقد ما يخالف عقله ووجدانه. هذا ما يتعلق بالانجيل،
واما التوراة فعهدنا بما فيها من بنأ الخليقة ما في سفر التكوين
وهو لا يتفق مع ما في القرآن الا من بعض الوجوه واكثرها فيه
رموز او الفاظ مهملة وابن قول التوراة عن بدء الخليقة: في
البدء كانت الكلمة من قول القرآن ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا او كرهًا قالتا اتينا
طائعين ومن قوله: كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا. ومن قوله: وَمِن
كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

التوراة تذكر الكلمة ولا يدرى ما معناها وما المراد منها وما هي الكلمة ؟ والقرآن يذكر بدء الخليقة واصلها اصولاً فردها بعد نزول القرآن بمئات من السنين المنجمون من علماء الطبيعة والفلك وطبقات الارض امثال لابلاس وانباعه .

ومع هذا البون البعيد كيف يدعي هؤلاء الاغبياء ان القرآن اخذ من التوراة .

ولما لم يجدوا برهاناً على اخذ القرآن من التوراة قالوا : ولا موضع في هذه الرسالة لبيان ذلك ، ولما تنبهوا لهذا الغلط والكذب الصريح توغلوا في الابهام والتمويه فقالوا ان القرآن حرف بعضها . قالوا ذلك لانهم لم يجدوا شيئاً من القرآن ماخوذاً من التوراة وما اشبه هذه الدعوى بقصة هزلية تنقل للفكاهة فلننقلها تفكهاً .

قبل ان نصر الدين الهزلي المعروف سئل عن حال السارق انا الى ليلاً لسرق المتاع فقيل له اذا جاء السارق في الليل لا يحس اهل الدار بوطء قدمه ، فمضى الى داره ونام ليله ثم جلس اثناء الليل واصغى فلم يسمع صوتاً فنادى باعلى صوته ايها الناس

انفذوني من بيت السارق ولم يزل ينفض حتى اجتمع عليه جيرانه وفتشوا في الدار فلم يجدوا احدا فقالوا له اين السارق فقال اني لم ار له شخصا ولم اسمع له صوتا فقالوا علمنا انك تستغيث قال لانكم قلتم ان السارق اذا جاء ليلا لا يسمع له وطأ قد صوت واني انتبهت الساعة واصغيت ملبيا فلم اسمع اي صوت فلا بد ان يكون السارق في الدار.

كنا نسمع هذه القصة فنعدها في الخرافات الفكاهية التي يليق ان تنسب الى المجانين ولم نتصور انسانا يوردها مورد الجد الى ان عثرنا على هذه الرسالة الشافية فرأينا ان الغضب يوصل اهله الى حالة الجنون، يقولون ان القرآن اخذ من التوراة ولما لم يجدوه موافقا لها قالوا انه حرف ما فيها، اذا كان القرآن غير موافق لها فما الدليل على انه اخذ منها ومن يصدق لهم هذه الدعوى؟ وما بينتها؟ ولم لا نحكم بان يد التحريف تناولت التوراة والعلم الصحيح انما يعضد القرآن وينفي ما في التوراة كما يتضح ذلك لمن راجع العلوم المعتدة في هذا الباب. ومن الغريب دعواهم ان القرآن حرف ما عند اليهود والنصارى لجهل امر نسبان الخ ودعواهم فيما مضى في الفصل الثاني ان علماء

اليهودية والنصرانية كانوا يساعدون النبي وينصرونه فاذا كان
كذلك فهلا منعوه عن التحريف ! وهلا صدوا المنافقين
عن خدعه لاعتاده ، ومما هو غاية في العناد ونهاية في التعصب
ودليل قطعي على ان هؤلاء القوم لا يقصدون الا الباطل وانهم
ينكرون الحق بعد معرفته فلم اعتادوا لذلك الامي ، فكانهم جعلوا
النبي آلة صماء بيد المنافقين وهو مجرد عن كل ارادة شخصية
وغرض وثبات يتلاعب به المنافقون كيف شاءوا والا تراهم ،
وهذا حكم مخالف للحقيقة والتاريخ ينكره من له ادنى مزية من
العقل وقد خالف حكم جميع الامم في كل العصور ، فان الناس
اتفقوا على ان محمدا صلى الله عليه وآله ذو ارادة جازمة وعزم
ثابت وجاش مطمئن لا يتزلزل لانه جاء بالدين الاسلامي وحطم
وقاوم الوثنية وجهل الجاهلية وثبت امام المكاره والاهوال حتى
ذلل صعبها لعزيمته واوادته الى ان اذل طواغيت قريش وسخر لامره
سنادة العرب وجبابرتها وكون امتر كبرى ثلث عروش الاكاسرة
والقياصرة والحبش والهند واستولت على اكثر المعمور فانهزم
امام سلطانها الستلاطين وانقادت لعظمتها الملوك فلم تبق في
الارض امة الا وان منها بدين الاسلام خلق كثير فظهر بذلك على

الدين كله ولو كره المشركون . فقد اتفق جميع العقلاء على
ان هذا الرجل اكبر رجل ظهر في العالم وان حادثة ظهوره
واستيلائه على الامم كانت من بين امة كانت مادة حياتها محكومة
للامم الاخرى اكبر واعظم حادثة عرفها العقلاء بعد خلق الانسان
الى هذا اليوم ، غاية ما في الباب ان بعض المعاندين لم يعترفوا
بنبوته بل قالوا انه نابغة الدهر وواحد . ولكن لما اراد الله
ان يظهر عناد هؤلاء المضلين ساقهم الى هذا القول واظهاره الى
مظهر الابله المسلوب الارادة والعقل والاختيار ليخالف هذا
الحكم جميع العقلاء فيعلموا مبلغ تعصب هؤلاء المجانين وافقادهم
على محو الحق بكل وسيلة وان رد حكمهم جميع العقلاء ولا داعي لهم
الا الحقد والطعن .

لنغض النظر عن جميع ما تقدم ونتنزل الى تسليمه فماذا
يضرنا منه وهل ينفي ذلك على تقدير صدقه اعجاز القرآن ؟
والثابت انما هو الاعجاز في البلاغة وهي من صفات الالفاظ
والتراكيب ولا دخل لها في المقصود والمعنى والمراد ، فلو اتفق
كلامان في معنى واحد يمكن ان يكون احدهما بليغاً والاخر غير
بليغ ، واذا سلمنا ان معاني القرآن ومعاني التوراة واحدة فيكون

هذا فضلاً اخر للقرآن حيث انه بلغ حداً لا عجاز في معان لم يكن للنواة بها ادنى فضيلة في البلاغة .

وبهذا نعلم جلياً مبلغ توهمهم في ما نقلوه عن الانفاق للسيوطي من ان القرآن نزل على لسان بعض الصحابة وذكروا موارد سئل فيها المسلمون النبي فنزل القرآن بحكمها من الله فانهم ارادوا بهذا حط القرآن عن درجته في البلاغة وليس في ذلك الا التمويه والقول الباطل لان البلاغة كما علمت انما تتبع التراكيب والجمل ولرب جملة تكون بليغة في مقام غير بليغة في اخر ولرب مقام يجب افادة السؤال بعينه في مقام الجواب بحيث لو لم يعد لعد خللاً بالبلاغة ومرجع ذلك الى البلغاء الذين حكموا بخروج القرآن عن طوق البشر . فيجب على كل مطلب فهم البلاغة في كلام ان يلاحظ اوله واخره وما حف به من الجمل قبله وبعده والحال التي ورد فيه فرب جملة ترد غير بليغة في كلام بمناسبة ما بعدها من الجمل تكون بالغة حد الاعجاز في كلام اخر بملاحظ ما حفت به ، فلا يوجب ورود احدى جمل القرآن في كلام بشر الحكم بعدم اعجازها اذا كانت في القرآن لانها معجزة بضميمة ما حفت به من الجمل الاخرى . ستيما اذا قلنا ان القرآن بمجموعه

معجز لا كل جملة جملة منه كما هو مختار بعض علماء البلاغة.

على ان هؤلاء المؤمنين نقلوا عن الاتقان ما لا ربط له في المقام كقول عمر: يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ولو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب انتهى. وهذا وامثاله لا حلاقة له بالبلاغة اذ لم يتكلم عمر باية الحجاب حتى يكون القرآن اخذها منه كما هو مدعى هؤلاء المؤمنين فلا وجه للاستشهاد به الا التمويه. وكانهم يطلبون من النبي ان يكون ايكم لا يجيب اذا سئل ولا يحكم في مقام الخصومة والتنازع ولا يوجع اليه في مهام الامور والا فما وجه الايراد عليه في مثل هذا المقام والنبي انما يحتاج اليه اذا كان مرجعا للناس في جميع الشدائد والكوارث والمعضلات والمشكلات من مهام الامور. وان الله اقتضت حكمته تأييد النبيه اذا اراد ان يوحي اليه حكما يخالف عادات العرب ويشق عليهم ان يلقيه في اذهانهم ويتشوفوا اليه فاذا نزل من عند الله اسرعوا الى قبوله وهان عليهم. ومن ذلك فصله عمر في اية الحجاب لمخالفة لعادات التي وغيرها من الاثام والاحكام لانه كان اشد الصحابة صلابة في عادات الجاهلية وغيره الين منه جانبا واخفض جناحا فاذا نزل

حكما مثله غيره من الصحابة لا محالة واذا اراد الله تعالى تأييد نبيه بنشر احكامه شوق اليه اصلب الناس الذين يحمل فهم المعاد ضنة
ومن هذا الباب قول ابن عمر: ما نزل بالناس امر فقالوا وقال عمر الا نزل القرآن كما قال عمر. على ان الاتقان ليس بالكتاب الذي يعتمد جميع المسلمين فلا ينبغي التعويل عليه في مبالاجمع المسلمين لان اكثرهم ينكرون روايا ته حيث انه يعتمد المراسيل والضعاف من الاخبار.

بقي ما اشاروا اليه في اخر هذا الفصل من الاعتراض على القرآن بانه قد كرر ذكر بعض القصص. ونحن قد اوضحنا فيما سلف ان الحال قد تقتضي التكرار فيجب مراعاة لفانون البلاغة والاخلال به حينئذ اخلال بها. وللتكرار هنا فائدة اخرى وهي بيان ان منزل القرآن هو القدير على ايراد المعنى الواحد في عبارات مختلفة وكلها بالغة حد الاعجاز فينقطع بذلك عند ذا من يعتذر عن مباراة القرآن بانه انما عجز عن مباراته لتمام المعاني التي تطرق اليها ويكون دليلا قاطعا على ان اعجازه ليس من باب الصرفة والاتقاني وانما هو فعل مختار شاء الاعجاز ففعله وبشاء ويفعل ومتى شاء فعل.

اما قولهم في آخر هذا الفصل ان القرآن لم يدع انه معجز بالبلاغة فقد تبين بطلانه مما اوضحناه سالفا من انه ادعى ذلك ومن انه معجز بالبلاغة وغيرها سواء ادعى ذلك ام لم يدعه فلا حاجة الى اعادته مما مضى .

نقد الفصل الرابع
(ويذكر في مواقع)

قولهم ان القرآن اخبر في سورة آل عمران ان مريم كانت تقيم في المحراب في الهيكل لان امها نذرتها له لتوقع انها تلد ذكرا مع ان الاناث لم يكن من النذر والمحراب كان محرما دخوله على النساء والرجال الا على رئيس الكهنة في السنة مرة . قالوا وقصة مريم في القرآن ملفقة على هيئة قصة حنة ام صموئيل فصها احد خاصة النصارى على حضرة محمد انتهى قولهم

لفهمها ولرد كيدهم ينبغي ذكرها في هذه السورة من القصة بعينها ركيكة لفهمها اولئك الاغبياء وهو ان امرأة عمران نذرت لله ما في بطنها محررا اي معتقا خالصا فلما وضعت حملها وجدته انثى فاسفت لانها كانت تتوقع ان تلد ذكرا ومع ذلك سئلت الله ان يتقبلها فتقبلها الله بحسن القبول وكرمها بان انبتها نباتا حسنا وجعل كفيلها زكريا زوج خالتها وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا فيسئلها عنه فتقول هو من عند الله .

هذا ما في القرآن وقد قال المفسرون ان اسم ام مريم حنة

وان مريم خصت بهذه الكرامة حيث انها اول انثى قبلت لخدمة
بيت المقدس وان المراد من المحراب هو المسجد نفسه او غرفة عالية
بناها لها وذكريا في بيت المقدس او اشرف مكان فيه .

وهذا ما اردنا ايراده من قول المفسرين فلنرجع الى مذهب
هؤلاء الاغبياء وهو مردود من وجوه .

الاول انهم كذبوا ما في القرآن مستندين الى ما في الانجيل
وبعض شروحه وهذا قول بلا برهان لان النصارى كلهم معترفون
بان ما في ايديهم ليس هو الانجيل المنزل من الله وانما هو ملفقات
وضعها بعد عيسى بسبعين او بعدة افراد من كهنة النصارى حكاية
لتاريخ المسيح مستندين الى الاطباف ومع ذلك فقد لعبت بها ايدي
الكنائس والمجامع الدينية طبق رغبات الملوك ودوائر
النصرانية فكيف يصح الاستناد الى مثل هذه الملفقات المحرفة
وبماذا نرجح على القرآن ؟ والقرآن شاهد على صدقه وهو
اعجازه بالبلاغة الذي اعترف به العرب باسرهم كما سنوضحه فيما
على صدق مدعيه فيما يخبر به . ولو ان شاهد الكذب لم يقم
على ما يتضمنه الانجيل وشاهد الصدق لم يقم على القرآن لكان
العدل هو التوقف عن الحكم في مثل هذه القضية التي لم يؤيدها

كتاب تاريخ ولا اثر فكيف وبرهان صدق القرآن ساطع وكذب
ما يتمونه العهد الجديد اشهر من كذب ابليس اللعين فما الاخذ
به وترك القرآن الا اخذ بالباطل المحض وترك للحق الصريح
وما ذلك من هؤلاء المبطلين بعجيب .

الثاني قولهم ان هذه قصة ملفقة على هيئة قصة
حنه ام صموئيل . ان الذي في القرآن انها قصة مريم وامها
والمفترون قالوا ان اسمها حنه اما كونها ام صموئيل فلا اصل له
الا بنبخة قصاعد الاخبار في ادمغة اولئك العهديين الذين
كانوا يرون الانجيل في النوم ليلا وينصونه على تلامذتهم
نهارا .

الثالث قولهم قصتها بعض خاتمة القصاص على حضرة محمد
وهذا ينافي ما قالوه في الفصل الثاني ان علماء النصارى كانوا
يؤيدون النبي ويساعدونه وينصرونه فما الذي اوجه الى الغاية
حتى يتلقى منهم الاخبار ولئن كان كما يدعون فلما ذا لم يعارض
علماء النصرانية هذه الاخبار من اول الاسلام وقد قصدوا
لمعارضة النبي بكل ما يستطيعون كما سافقة نجران وفسوس
الروم . وما بالهم سمعوا هذه الآيات وامثالها فلم يسعهم الا

الاذعان وهو الايمان .

الرابع كذبهم على القرآن حيث قالوا ان القرآن اخبر ان مريم كانت تقيم فى المحراب فى الهيكل وقد علمت ان القرآن لم يذكر الهيكل ولم يتعرض له ولا تعرض لاقامة مريم فيه انما قال : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ولم يعلم ان المحراب كان هو الهيكل بل ذكر المفسرون ان المحراب اسم للمسجد او غرفة عالية نباها لها زكريا . فما دعاهم الى هذا الكذب الصريح وكيف لم يأخذهم منه الحياء ، وانى للمتهمكن بالفجور والاباحة الحياء .

الخامس اهانتهم لمريم حيث جعلوها كاحدى النساء فكما حظر عليهن دخول الهيكل حظر عليها والقرآن قد اجلها واحترمها حيث منعها عن النساء وقال فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا . وذلك ان النساء لم يكن ينذرهن لسدانة بيت المقدس شرعا وهذا سبب تحترام مريم لانها وضعت انثى واعتقدت الجبلة فى نذرها لكن الله تعالى لم يخيبها بل قبل منها نذرها ومنزه ذلك مريم عن جميع نساء العالمين وما كنت احسب ان التعند والاصرار على الباطل يبلغ بهؤلاء المعاندين

مبلغا بوصلهم الى اهانة الانبياء والمقربين ولكن هؤلاء المتكبرين
صمموا ان يعرضوا على القرآن ولو انتهى الامر والعياذ بالله -
الى اهانة المسيح وامه انقذنا الله واعاذنا من هؤلاء الاشرار
ومن شرورهم .

٢ - اعتراضهم على ما جاء من قصة زكريا فى سورة مريم ولخصوه
فى ثلاث مواقع . قالوا

الاول فى سورة مريم ان الله خاطبه وهو غلط لان فى الانجيل
ان الذى خاطبه ملاك الرب . قلنا ان القرآن لم يصرح فى سورة
مريم ان الذى خاطبه هو الله وليس فى هذه السورة من خاطبه
والينا انه سورة مريم وهى : يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
ولم يذكر ان المنادى المبشر هو الله بلا وساطة ملك او هو الملك
عن الله وقد فسر القرآن ذلك فى سورة آل عمران واوضح ان
المخاطبين لزكريا كانوا من الملائكة بقوله تعالى . فنادته الملائكة
وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
هذا ما جاء فى القرآن فاين قولهم ان الله هو الذى خاطبه ؟
وهل من قرآن غير هذا القرآن يعرفه النصارى ولا يعرفه المسلمون
ذكر ان الذى خاطب زكريا هو الله فاعترضوا عليه ، انى تركت

الحكم هنا لكل قارىء له ادنى تمييز فليحكموا ما جزاء هذا الكذب الصريح من هؤلاء الاشراد ؟ قالوا :

والثاني ان ذكريا كان في المحراب اي قدس الاقداس وفي الانجيل انه كان واقف - كذا - عن يمين مذبح البخور . قلنا ان الذي في القرآن ان ذكريا كان في المحراب ولم يذكر انه كان في الهيكل قدس الاقداس والمحراب اما نفس المسجد او غرفة فيه فما هذا الكذب الصريح على القرآن اما لهؤلاء السفهاء عديمي الحياء من وازع عن الكذب ؟ قالوا :

والثالث ان الاية في القرآن - اية ذكريا - كانت ان لا يكلم الناس ثلاث ليال او ثلاثة ايام على الخلاف بين السورتين - سورة مريم وسورة العمران - وفي الانجيل انه كان صامتاً مدة الحمل وثمانية ايام بعد الولادة . وقالوا قبل ذلك : ان هذا الاختلاف دليل على غلط القرآن . قلنا اما ذكر الليالي في سورة مريم والايام في سورة آل عمران فليس باختلاف لان الايام لها ليال فاذا القرآن ان يذكر ان اية ذكريا كانت الصمت ثلاثة ايام بلياليها . واما الفرق بين القرآن والانجيل فهو دليل على غلط الانجيل صوناً وانه طيف خيال مملوء بالخرافات والقرآن اية الله على خلقه ومعجزة

نبيه التي عجز عن الاتيان بمثلها جميع الفصحاء والبلغاء . فكيف يكذب هذا ويصدق ذلك وكل اختلاف بين القرآن والانجيل فالصدق في جنبا الاول والكذب في جنبا الثاني . وبهذا نعرف دفعاً ثانياً للاعتراضين الاولين . وقولهم بعد ذلك : ولعل كثرة هذه الاغلاط حملت بعض علماء الاعلام على القول بالمحال هو تحريفا لنوراة والانجيل مع ان القرآن صدقها واعتمدها انتهى قولهم . وقد بينا لك ان علماء النصارى انفسهم معترفون جميعاً بتحريفا لنوراة وانقطاع الانجيل بعد قتل المسيح وان ما بايدي الناس اليوم مما يسمونه بالانجيل ليس هو ما جاء به المسيح وانما هو خلاصة وقائعها الذي يسمون على تلاميذهم بعد المسيح فكيف يكون القول بتحريفها محالاً وما هو وجه الاستحالة ؟ نعم قد يكون لها وجه بالنسبة الى الانجيل لان التحريف بغير الاصل بالزيادة والنقصان فهو موقوف على وجود الاصل والانجيل لما كان اصله مفقوداً من الارض او انقطع الى السماء - كما يقول النصارى - فتحريفه مستحيل . وانما هو كذب من اصله على الله والمسيح واختلاق بقي قولهم هنا ان بنا اسكندر ذي القرنين اخذ القرآن عن الانبا الذي بخندق وهو كثير الاغلاط واحكام المحال ومثله بعض الانباء

في القرآن . وهذا القول مما يكشف جليًا عن مبلغ تعصب وعناد
هؤلاء المعاندين المتعصبين واصرارهم على الباطل وان عارضهم
الف بينة وبرهان . فانهم لما وجدوا بعض انباء القرآن موجودًا اصلًا
في التوراة قالوا فيه مما قالوه مما اوضحنا بطلانه . وحين نظروا
الى بعض انباء الغيب التي جاءت في القرآن ولا اثر لها في التوراة
مثل قصة ذي القرنين واصحاب الكهف وقرنه اطاكية مع
صاحب بس وعاد وثمود وسيل العرم وغيرها قالوا انها
اخذت من الانباء النادرة . كان مكة التي نشأ فيها النبي صلى
الله عليه واله كانت مكدونية اليونان او بغداد العرب او
حمراء الاندلس او باريس الافرنسيس او لندن الانكليز فيها من
المجامع العلمية والكبار والمكتبات ما لا يعد ولا يحصى . وكان النبي
كان احد اساتذة التاريخ في تلك المجامع قرأ ودرس وعلم ثم
قص القصص على قومه بذلك السياق . لو كانت مكة كما قلنا وكان
النبي كما وصفنا لكان لما ذكروه وجه اما ومكة بلد فاحل في جزيرة
فاحلة نفطنها اناس اميون حمل علمهم اشعار نثرنا قلها افواه الرجال
واكبر ما لهم البعير واوسط اكلهم العلهز والنوى ولغو الدم المسفوح
على الارض يتحكم فيهم الفرس والروم والحبش . ومحمد نشأ بينما

ودعى القمم اجيرا واكتسب بالنجارة لامرئة من نساء مكة ولم يعرف
عنه انه تعلم عند احد . اما والامر كذلك فلا مجال لان يقال ان
ما جاء به كان من الانباء التاريخية وانى له بالتاريخ وفى اى زمان
حصله . لتنازل عن ذلك ونقول كانت فى مكة من المدارس
اضعاف ما فى بتوبورك الان وكان محمد استاذها فاردنا كتابا
واحدا فى اى لغة كان ذكر قبل القرآن قصة اصحاب الكهف و
صاحب بر لتسلم ان النبى قرء ذلك الكتاب . واضف الى ذلك
ما جاء به من الحكم والاحكام الفلسفية والاجتماعية وثباته فى
الدعوة الى التوحيد ومناوءته دين قومه الوثنية وقارن ذلك
بمنشأه وتربيته تعتقد كل برهان ان جميع ما جاء به انما هو
من عند الله تعالى ولم يكن هو - صلى الله عليه واله - الا واسطة
لتبليغ الوحى الى الناس اكرمه الله بذلك وشرفه على جميع خلقه
ولو كره المشركون . اما قولهم ان قصة اسكندر مملوءة بالاغلاط
واحكام المحال فهى ادعاء لم يؤيدوه ببرهان ولم يذكروا اين يوجد
منها الغلط واحكام المحال والى اى كتاب استندوا فى تغليطها اذ
ليست بموجودة فى التوراة . فلنترك هذه الدعوى على مدعيها
المبطل الى ان يبرز حجته فندحضها .

٣ - اعتراضهم فى هذا الفصل من الوجهة اللغوية على ما جاء فى سورة آل عمران من قصة مريم وان كان خارجا عن سياق الفصل لانهم عقدوه لبيان غلط القرآن - على ما يزعمون - فى انباء الماضى وقد ذكروا الاعتراض فى ثلاث موارد الاول قولهم :

وفى هذه السورة ركاكة وابهام كثيرة منها - كذا - وليس الذكر كالانثى وهذا تحصيل حاصل فليس له من فائدة كقولك ليس السماء كالارض . قلنا لا مجال اولا لهذه الاعتراضات لتلا لما ببناه فى اخواتها من ان العرب صدقوا واذعنوا لهذه الآيات مع اطلاعهم على الاحوال التى نزلت فيها ومقتضياتها . وثانيا لو سلمنا ان معنى الآية كما ذكروا فلا يبقى ذلك ابهاما ولا ركاكة بل معناها واضح بين لا ابهام فيه وتركيبها صحيح متين لا ركاكة تعتريه وانما يدخل فى جملة الكلام الفصل الفائدة كما ذكرنا فى جميع كتبنا العربية . وثالثا انا قد بينا فيما سلف ان من جملة نحو هؤلاء المتوهمين انهم يقطعون جملة من كلام فيعترضون عليها وان هذا نحو يه محض مخالف لاصول البلاغة وقوانينها فان الكلام البليغ انما يتميز بلاغته بلحاظ ما حف به من الجمل وقارنه من الاحوال فرب جملة تفقد غاية من الفائدة بل لا يحملها اذا لوحظت وحدها ، وتكون

كاملة الفائدة في اعلى درجات البلاغة اذا لوحظت بما انضم
اليها من الجمل ومن ذلك هذه الجملة . فانك لو قلت ليس الذكر
كالانثى مجردا عن كل شئ لكانت جملة قليلة الفائدة . لكنك
لو قلتها معارضا لمن يدعي مساواة المرئة للرجل في جميع الحقوق
- كما يدعيه فريق من اهل هذا العصر - لكانت جملة كبيرة
الفائدة - فلاحظ هذه الآية بما حفت به من الآيات تجدها
وقعا عظيما ، فان ما حكاه القرآن من قول ام مريم : رب انى
وضعتها انثى وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها
بك وذريتها من الشيطان . كلها لا فائدة فيه ان كان الغرض
منه الاعلام لان الله اعلم بذلك كله . ولكن اغراض الكلام
فائدته لا تنحصر في اعلام المخاطب اصلا الحكم كما ذكر البيانيون
بل قد يكون الغرض من الكلام اعلام المخاطب ان المتكلم نفسه
عالم بالحكم وبيتي لازم الفائدة او التحسر او التهديد او الوعيد
او التهكم او التفجع والتفجيع او غير ذلك .

من الاغراض التي ذكرها البيانيون والاصوليون وجبلت عليها
طبايع جميع البشر في محاوراتهم ومنها جلب عاطفة المخاطب و
رحمته ، وام مريم لما كانت تعتقد ان تلد ذكرا فرأت مولودها

انثى وكانت الانثى لا تقبل لسداد ثبت المقدس تكلمت بما تكلمت تحسرا لحبلها واسجلا بالرحمة الله فى قول مولودها كما تشعى الناعية فى مصابها وتستبعث الملهوفة فى تلهفها بكلا بعلمه كل سامع او كما يفزع الداعى الى الله فى استنزال رحمته بذكر حاجته والله يعلم بها . يقولها وليس الذكر كالانثى بيان لحال مولودها تحسرا وتضرعا واستعطافا وهذا على غاية ما يمكن ان يكون من البلاغة فى هذا المقام ولكن كيف المحيلة فى افهام هؤلاء القوم الذين لا يعقلون ويعمدون الى التوبيخ فيذكرون الاية منقطعة عن ما قبلها وما بعدها كان القرآن مختصرا فى نسخة واحدة لا يحسنون ان يروها غيرهم فينكشف تمويههم . والثانى قولهم :

انى وضعتها انثى بضمير الانثى - كذا - يصير به المعنى انى وضعت لانثى انثى فبالله ما هذه البلاغة التى يعجز عنها الانس والجن . انتهى قولهم . قلنا قاتلك الله يا هؤلاء القوم فانتم لا تعقلون ؛ تقولون بضمير الانثى تمويها واللازم ان تقولوا بضمير الاناث ثم تقولون يصير به المعنى انى وضعت الانثى انثى وليس كذلك بل معناه انى وضعت ما فى بطنى انثى لان الضمير لا يعود

على متأخر ليكون المعنى كما ذكرنا وانما يعود على متقدم و
المتقدم انما هو ما في قوله تعالى : رب اني نذرت لك
ما في بطني فلما كانت تقدر ان يكون ذكرا قالت محررا بضمير
المذكر لا محررة ولما وضعتها وراتها انثى اعادت اليها ضمير
الاناث فقالت وضعتها اي وضعت التي في بطني والخلاصة
ان ما الثانية موصولة بمعنى الذي تارة للمذكر وبمعنى التي اخرى
للمؤنث فاذا كانت للمذكر جاز اعادة ضمير الاناث عليها مراعاة
للفظها فانه مؤنث واعادة ضمير المذكر عليها مراعاة لمعناها وا
منه قوله تعالى محررا اذ كانت تحسب ان حملها ذكر ، واذا كانت
ما بمعنى التي تحتم اعادة ضمير المؤنث عليها كقوله تعالى وضعتها انثى
فانها بعد الحمل علمت ان حملها انثى فما مؤنثة لفظا ومعنى ولا
يصح الا اعادة ضمير التانيث عليها . ولكن هؤلاء الاجلاف
ذكروا وضعتها انثى منقطعة عما قبلها نموها فقالوا ما قالوه تعنتا
على ان هذه الاية لو كانت وحدها منقطعة عما قبلها لما كان
لما ذكروه مجال فان ضمير المفرد المؤنث والمفرد المذكر لهما شأن
غير سائر الضمائر لانه ضمير المؤنث مثلا كثيرا ما يستعمل اشارة
الى معنى اما مشاهد محسوس او منصيد من خلال الكلام كقول

العظامى

هم الملوك وابناء الملوك لهم والآخذون به والسابقة الأول

اى الاخذون بالملك

وكقول الشاعر

اذا نهى السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف

اى الى السفه

وقد يكون معاد الضمير مفهوما من القرائن الحالية وقد جيء

اثناء الكلام فلا يكون له معاد ومنه ضمير الشأن ولذلك

يقع الضمير فى ابتداء الكلام مفسرا بما بعده كقوله

هى المعالم لن تبغى بدار فنا وصارم الدهر لا ينفك ذا أثر

وكقوله

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهل

وما اختاره مضنى به وله عقل

ولذلك نظائر فى اللغة العربية وقد حفل لها علماء البديع

فصولا مهمة فى ابواب مختلفة فلو وليت امرئة وقلت اسمها سلمى

مثلا لم يكن معناه اسم سلمى بل معناه اسم هذه المرئة سلمى

وكذلك فى الآية لو كانت ابتداء فان معناها يكون حينئذ ضمير

الحمل انثى لا وضعت الانثى انثى كما توهمه هؤلاء الموسوسون .

والثالث قولهم :

ومن ذلك وابنتها بنيانًا حسنًا وقد قررناه فيه . قلنا وقد قررنا في قولهم من الجهل والخبط والخطاء والخلط والتمويه فلا نعيد ذكره الا ان هنا خطأ كبيرا يضحك الثكلى ويكشف عن مبلغ جهلهم الفاضح . وذلك ان المفعول المطلق يأتي لاحد ثلاث معان (١) تاكيد الفعل (٢) للعدد ولا كلام لنا فيهما (٣) للنوع كجلست جلسة الامير وهذا الضرب من المفعول المطلق يأتي على ضربين الاول ان يبين نوع الفعل بحسب صورته ولا بد ان يكون مصدره موافقا لفعله كقولك اجلسته اجلاس الامير اذا كان المراد به بيان نوع الاجلاس الثاني ان يكون المراد به بيان نوع الفعل بحسب مادته دون هيئته ولا بد حينئذ ان يكون المصدر من الثلاثي وان كان فعله رباعيًا كقولك اجلسته جلسة الامير اذا كان الغرض بيان هيئة المجالس لا المجلس ولا يصح في هذا المقام ان تقول اجلاس الامير لان المعنى ينقلب فيفهم بيان هيئة المجلس في اجلاسه وهو خلاف المراد . والا نه هنا لبيان

نوع البيان لان المراد ان بيانها حسن لا انبانها فلا يصح
الانبان بالمصدر الرباعي هنا ولو اتى به لا فهم خلاف المراد
الا ان هؤلاء الجاهلين لا يعباؤن بذلك لانهم لا بد ركون
منذ انداك من الكلام ، فلبندهبوا بجهلهم وغبظهم قاتلهم الله
انى يؤفكون

خاتمة

فى بيان وجه اعجاز القرآن اجمالا ودفع شبهات المعاندين بحملة واحدة

فلنتبين من جميع ما قدمنا هؤلاء الشموس الضالين المضلين لانهم لم الا محو الحق وترويج الباطل ولا وسيلة لهم الى ذلك الا الكذب والبهتان والتزوير والتمويه والجهل الفاضح والتعصب الاعمى وهل يعضد الباطل غير ذلك ؟ ولكن حيث كان جميع ما ذكرنا انما هو فى مقام الرد كان مشوشا غير منتظم فلا بد من ذكر وجه الاعجاز اجمالا ودفع شبهات المبطلين جملة واحدة ليستقر ذلك فى الفكر ويرتفع به التشوش رفضا لتلك الشبهات الباطلة وتتم الخاتمة فى فصلين .

الفصل الأول

فى بيان اعجاز القرآن اجمالا

القرآن انبه الله الباقية فى ارضه وحجته الدائمة على خلقه

ومعجزته المصدقة لنبوته ولو اردنا بيان وجه اعجازه بالتفصيل لافتقر الى عدة مجلدات ضخمة ولما انتفع به جميع الناس فانه يفتقر الى اتقان جميع فنون اللغة العربية اتقانا كاملا وبحاجة الى اتقان كثير من العلوم العقلية وغيرها وهذا لا يتسنى لكل احد خصوصا بعد ان فسدت اللغة العربية وبدلت اللغة الفصحى باللغة العامية الدارجة ، ولذلك يجب ان نسلك في هذا الامر اقرب الطرق التي يفهمها العامة والخاصة والامي والقارىء وكل من لم يحرم نعمة العقل والفكر فنقول :

الخبر اذا بلغ حد التواتر افاد القطع ونفى عنه احتمال الكذب والشك فيه حينئذٍ مجازف او مجنون . فنحن نعتقد بوجود باريس مثلا وان لم نرها لان الخبر بوجودها قد بلغ حد التواتر واذا شكك احدنا في وجودها رميناه بالجنون بلا تردد .

ولدينا عدة اخبار متواترة يفيد مجموعها القطع باعجاز القرآن (١) ان محمدا ادعى النبوة (٢) الثاني انه اتى بالقرآن (٣) انه تحدى العرب به وطلب منهم معارضته (٤) انهم عجزوا عن ذلك ولجأوا الى السيف واختاروا الموت على معارضة القرآن (٥) ان محمدا نشأ في بلاد جاهلة لا تعرف شيئا من العلم وقد توفي

فى احط اقسام الوثنيه (ء) ان القران الذى جاء به محمد اشتمل على فوائد من لحفظ النظام ومسائل فى التوحيد واخبار عن الامم السالفه وحوادث اخبر عن انها ستقع بعد الاخبار بها ولم يكن العرب يعرفون شيئا من ذلك .

هذه الاحكام الستة ثبتت بالتواتر القطعى والحس والوجدان فلا يمكن النزاع فيها الا من مجنون . وهى تدل دلالة قطعية على ان القران من الله تعالى اذ لو لم يكن منه عز اسمه لكان لا محالة من احد البشر ولو كان من احد البشر لما كان لعجز جميعهم عن معارضته وجه مع انهم طلبوا معارضته لانهم جدوا فى ابطال نبوة محمد التى خالفت هواهم وعقائدهم وقد اقام القران دليلا على النبوة ولو كانوا يقدرون على ابطاله لاسرعوا اليه ولكان اخف عليهم واهون من بذل نفوسهم وذراريهم واموالهم للقتل والاسر والاغتنام ولكنهم عجزوا عن المعارضته فلجاؤا الى مشاقى الحسام حرصا على بقاء لبدهم ومعقداتهم وعاداتهم .

واذا اضيف الى ذلك مراعاة المحط الذى جاء به النبى وانه احمل محيط كان على الارض وئيس بالغالبيم التى جاء بها وانها

اسمى واعلى تعالبم ظهرت فى الارض علم علمًا يقينيًا ان محمدًا
صلى الله عليه واله لم يكن جاء بشئ من عنده وانما هو من الله تعالى
ازيستجهل على بشر نشأ منشأ النبى ان يجئ بما جاء به .

هذا ما ثبت بالتواتر وبناسب هنا ان ننقل بعض اراء
العرب فى القرآن وعجزهم عن مناظرته .

كان لبيد من اشعر شعراء الجاهلية وابلغهم فلما سمع القرآن
اسلم وترك قبل الشعر تعظيمًا لامر القرآن فقيل له ما فعلت
قصيدتاك فقال ابدلنى الله بهما سورة البقرة وآل عمران .

ولما سمع الاعشى بالقرآن مدح النبى صلى الله عليه وآله
بقصيدة قال منها

الم تغتمض عينا لك ليلة ارمدا وبت كما بات السليم مسهدا

نبى يرى ما لا يرون وذكره اغار لعمرى فى البلاد وانجدا

واقبل لبسلم فدافعه قريش واخذوا يحدثونه باسوء ما يفترون
عليه وقالوا انه يحرم عليك الاطيبين الخمر والزنا فقال فذكرت
وما لى فى الزنا من خاجة فلم يزالوا به حتى لجاؤه الى اللحاق الى
اليمامة ومكث فيها قليلا حتى مات .

وكان الوليد بن عقبة سيد بنى مخزوم من ابلغ العرب فقال

يوما لقومه : والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من
كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت
قريش صبا - اى اسلم - والله الولبد والله لبصبأن قريش
كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما
احماه فقام فاتاهم وقال انزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق
ويقولون انه كاهن فهل رأيتموه يحدث بما يحدث به الكهنة
فنزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم
لا فقالوا له فما هو ففكر وقال ما هو الا ساحر اما رأوه يفرق بين
الرجل واهله وولده وموالية وما يفوله سحر يؤثر عن اهل بابل
ففرقوا معجبين منه . وكانت هذه الكلمة على خلاف عقيدته
التي اداه اليها ابو جهل ولذلك اثر على خاطفته اثرا كبيرا وجاءت
مضادة لملكته من الشهامة والفتوة فظهر اثرها على وجهه فانه
يعيد ان نفرق عنه الناس كانه فدم على قوله ان ما يقوله سحر ونفى
معذب الوجدان فنظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه مدبرا ونشأ
مستكبرا لما خطرت بباله تلك الكلمة التي ادلى اليها بخلاف

عقيدته .

ولفحول البلغاء نصريحات عظيمة ومواقف فى بلاغة القرآن يوقن من يطالعها ان العرب وقفوا موقف العجز والحيرة امام تلك المعجزة التى سلموا بها ولم ينكرها منهم احد ، ولقد صرح كثير من فطاحلة بلغائهم ان اعجاز القرآن هو الذى دعاهم الى الاذعان والايمان والدخول فى الاسلام ولا مجال هنا لنقل تلك الاقوال والخطب التى اوردناها ومن شاء الاطلاع عليها فليطالعها من مواردها ليعلم ان معجزة القرآن لم تكن بمثابة يشك فيها احد منهم بل كانت لديهم اوضح من معجزة موسى وعيسى وسائر الانبياء لاهل عصرهم .

الفصل الثانى

فى دفع جميع ما اورد على القران من الشبه

ان جميع ما ذكره النصارى من الايرادات على القران سواء كان فى هذا الكتاب او فى غيره كان ذكره علماء المسلمين فى كتبهم واجابوا عنه بالتفصيل . فجاء المتاخرون ونقلوا الاسئلة بصورة الايراد وتركوا الاجوبة فاذا اردت ان تعرف تفصيل الجواب عن كل ايراد لم فارجع الى الكتب الاسلامية تجد ذلك فيها مفصلا . ونحن نريد فى هذا المختصر ان نجيب جوابا اجماليا عن جميع الايرادات من اقصر الطرق بحيث لا يحتاج معه الناظر الى تحصيل علم او زيادة تتبع . ولا بد من ذكر ذلك بعد معرفة انواع الاعتراضات .

النوع الاول - الاعتراضات التى ترجع الى فنون اللغة العربية كادعائهم وجود اللحن ومنافاتها فى الصرف والبلاغة فى القران . وهذه الاعتراضات باسرها لا مجال لها لما بينه العلماء بالتفصيل من ان ذلك كذب على القران . ولكن الذى نذكر فى جوابه هنا هو ان مرجع القواعد العربية والبلاغة الى اهل اللسان

العربي وبعد ان حكموا بان القرآن تجاوز حد البلاغة
الى ما يعجز عنه البشر لا يبقى مجال لغير اهل اللسان في تخطئته
وتغليطه والحكم بمنافاته للبلاغة .

النوع الثاني المناقشة في اعجاز القرآن من وجوه اعتبارية
كوجوب كون المعجزة ظاهرة للعيان وكقولهم ان تفرد النبي به
لا يكون دليلا على اعجازه وغير ذلك والجواب عنه واضح مما
بيناه وخلاصته ان المدار في الاعجاز على عجز البشر عن الاتيان
بمثل المعجز مع تحدي النبي به وطلب معارضته والقرآن فاق
معجزات جميع الانبياء لانه اعجز البشر بما هم قادرون عليه
وهو الكلام البليغ وذلك ابلغ في الاعجاز من اعجازهم باحياء الموتى
مثلا مما لم يكن جنسه مقدورا لهم وشرف الله القرآن على جميع معاجز
الانبياء ببقاء ذات المعجزة الى يوم القيامة وان لم يظهر وجه
اعجازها الا للمتبحرين من العلماء في هذا الزمان بعد ان كان
ظاهرا لجميع البلغاء الذين كانوا في عصر النبي مشاهدين للاحوال
التي نزل فيها القرآن ومقتضياتها .

النوع الثالث مما اوردوه على القرآن مما يتعلق بنقله اخبارا
ماضية وخلاصته ان القرآن اخطأ في النقل لانه مخالف

لنا فى كتاب العهدين والجواب عنه ان اعجاز القرآن دليل
على صدقه وكتاب العهدين لا شاهد على صدقه بل
الشاهد على كذبه موجود فيه وهو التناقض الصريح
الموجود بين قرآنه ، وقد اعترف علماء النصارى انه حرف
مرارا عديدة فكيف يصح الاعتماد عليه وتخطئة القرآن
الذى عجز من مثله الانس والجن . واتمم الله على جميع
الكتب السماوية ولو كره
الكافرون

تقديم الكتاب

الى سيدى الفاضل العلامة المحقق حجة الاسلام الشيخ محمد بخيل
مولانا وعمادنا شيخ الفقهاء والمجتهدين آية الله الكبرى الشيخ
محمد مهدى الخالصى اقدم هذا الكتاب :

سيدى !

لئن قدمت اليك الناس فى صفائك بمختلفات الوسائل فخير
وسيلة اتقدم بها اليك فقد كتاب حسن الايجاز ، ذلك
الكتاب الموءود المزور الذى رأيتك متأثرا من مطالعته وارجو
ان يخفف هذا الفقد شيئا مما اصابك عند رؤيته جزاء اولئك
المعاندين على الحق ، لا لانى احدثت الفقد بل لانك تجد من
مواليك طالبا فى المدرسة النباتية يهتم بامر الدين ودفع
الملحدين ، وذلك لامر فى تصحيح ما تراه محتاجا الى التصحيح فانى
معترف بقصر الباع وقلة البضاعة ، وغاية ما ارجوه قبولك
هذه الهدية وان كانت هدية الهدهد لسليمان

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته غرة رجب ١٣٤١

(ابراهيم الخراسانى احد طلاب المدرسة النباتية)

صحيفه	سطر	خطاء	صواب
٣	٩	فنن	ممن
٥	٣	عن ادنى	عن ان ادنى
٦	١٢	عن الاهبة	من الاهبة
٧	١	جامعه	الجامعة
″	١٥	انقناض	انقناص
″	″	فلم ارا	فلم ار
٨	٣	ف	ان
١١	١	ببطلا	ببطلانه
١٢	٧	المصراف	انصراف
١٣	١٥	الصران	الصرف
١٥	٤	اغنال	اغناك
١٦	٥	البه	آله
١٧	″	ما فى جاء	ما جاء
٢١	١	انبالا	الا انبالا
٢١	٢	لبنهج	لبنهج
٢٣	١	دعم دجمهم	دعم جمهم
٢٣	٤	دضوح	دضوخ
٢٤	٢	الجنان	الحنان
٢٥	٣	كنانه	كنابه
٢٨	٤	نخص	نحص
٣٢	١٤	فى	دفى
٣٥	٤	ان	على ان
″	٩	بحدى	تحدى

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٣٢	١٧	الموانع	الوانع
٣٩		الحص	الحض
٥٣	١٤	علبا	عليه
٥٧	٢	باستنكاف	باستنكاف
٦٦	١٧	توضع	بوضع
٦٦	١٥	بخد	بخده
٦٦	١١	حدثث	حدثث
٦٧	٧	ومما	ومما
٦٩	٧	وادعى	وادعى
٧٥	١٥	الهاذبن	الهاذبن
٧٦	١٧	منشاء	منشاه
٧١	٨	احذ	احد
٧٢	٤	امثان	امنازبه
٧٤	١٥	ان	او
٧٦	٦	المعجز	المعجز
٧٨	٣	للمعجز	المعجز
٧٦	٦	اخرى	احرى
٧٦	١٧	عجكم	نحكم
٧٩	١٤	الاثبات	لاثبات
٨٨	٧	نفضيل	تفضيل
٨٢	١	العلم	لعلم
٨٤	٣	طرف	طوق
٦٦	٢	فتل	نتل

صحيفه	سطر	خطاء	صواب
〃 〃	١١	وانتفوا	وانتفوا
٨٤	٨	العجان	الحجاز
٩٣	٩	تهمونهم	تهمونهم
٩٤	١٥	ضانزن	ضانف
٩٥	٨	فان ما	فان
١٠١	٧	ننشاء	نشاء
١٠٢	١٤	نزلنا	نزلنا
١٠٥	٣	الثانبان	الثانبنان
١١٧	١٧	مدعى	مدحى
١١٧	١٧	جل	حل
١٢٢	١	لامود	لامورة
١٢٨	١٠	نما	انما
١٣٥	٤	بصفائر	صفائر
١٣٥	١٥	وحصنه	وخصنه
١٣٥	١٩	وعلهم	وعلهم
١٣٨	٨	وبيان نفعها ربها	بيان انها نفعه
١٤٢	٣	برأسنه	برأسه
١٤٣	١١	الامثال	الامثال
١٥٠	١٠	مستفيما	مستغيثا
١٥٤	١٢	غيرهم	غيرها
١٥٧	٩	شناد	شناد

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٥٨	١٧	بنباتها	ببناتها
١٧٣	٣	الطبيعيه	الطبيعه
١٧٥	١٣	ثلث	ثلث
١٧٦	٣	ماده	مدده
١٧٦	١١	والطعن	والطعن
١٧٦	١٢	لنعض	لنغض
١٧٧	١٣	فيه	فيها
١٨١	٩	لبغضها (زائده)	. . .
١٨٣	١٦	لمعارضه	معارضه
١٨٦	١	لكمل	لكل
١٨٨	١٣	وضعنا	وصفنا
١٨٩	٥	فادرونا	فادونا
١٨٩	١٣	فني	فهو
١٩٠	١٧	بل الهملة	بل مهملة
١٩١	١	لوخطت	لوخطت
١٩٢	١١	بعد الحمل	بعد وضع الحمل
١٩٨	٨	بجهام	بجهام
١٩٩	١٧	وبئس	وفئس

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074438522
(7[illegible])
BP194
.1
.xK48